(١٥)

رفع الأستار

شرح القصيدة المسمّاة

«مفتاح الأسرار في تنزّل الأنوار»

تأليف

سيدنا الإمام العلّامة والحبر الفهامة علّامة الدنيا

الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه

العلوي التريمي

نفعنا الله بعلومه



آمين

هذا الكتاب:

شرح وضعه علامة الدنيا على قصيدة لامية من نظمه، سماها «مفتاح الأسرار في تنزل الأنوار وإجازة الأبرار»، أجاز بها مفتي زبيد السيد العلامة يحيى بن عمر الأهدل الزبيدي، المتوفى بزبيد سنة (١١٤٧هـ)، ووضع هذا الشرح عليها في سنة (١١٥٥هـ)، بعد تكرر الطلب من بعض محبيه، كما جاء في مقدمة الكتاب.

هذه الإجازة المنظومة، لها قصة وحكاية جرت في زبيد، وثّقها علماء زبيد في مصنفاتهم، منهم السيد العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (ت ١٢٥٠هـ)، حفيد السيد يحيى في كتابه النافع الجليل «النفس اليماني»، عند تعداد شيوخ العلامة أحمد شريف مقبول الأهدل، تلميذ جده يحيى، وجعله خاتمة شيوخه، فقال:

«الإمام العارف بالله تعالى، ذو التأليفات الواسعة، عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي، أجاز السيدَ المذكور[1] لما وفد إلى مدينة زبيد، وأجاز من كان في ذلك الوقت من العلماء، وقد سبق أنه أجاز شيخنا الوالد رحمه الله بمنظومة طويلة. وكذلك أجاز سيدي الجد يحيى بن عمر بمنظومة طويلة، وجعل عليها شرحاً نحو ثلاثة كراريس[2]. ووفد على سيدي الجد وأكرمه إكراماً عظيمًا.

ومن عجيب الاتفاق، كما ذكر لي شيخنا الوالد رحمه الله: أن سيدي الجد كان يقرر مسألة مشكلة، فذكر في أثناء التقرير: أن هذه المسألة سأرفعها إلى

---

(١) يعني به: السيد أحمد شريف مقبول الأهدل.

(٢) هو كتابنا هذا «رفع الأستار».

سيدي السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، يحرر فيها كلاماً.

وكان السيد المذكور وصلَ في ذلك الوقت، وقعد في الحلقة يسمع الدرس، ولم يكن سيدي الجد قد عرفه، فلما ذكر سيدي الجد ذلك إذا بعض من هو صحبة السيد المذكور، عرّف بعض الطلبة أن السيد عبد الرحمن حاضر في المجلس. فلما عرفه وعرف سيدي الجد، عظُمَ عليه ذلك، وسار به إلى منزله[1].

ووقعت بين المذكورين مشاعراتٌ. من ذلك هذه القصيدة من السيد عبد الرحمن، وجهها إلى سيدي الجد:

يـا مُغرمينَ بوصْـلِ ذات الخالِ   نجـمُ اللقـا في طَالـع الإقبـالِ

انتهى المراد من «النفس»، وستأتي القصيدة والجواب عليها من السيد يحيى الأهدل، في خاتمة هذا الشرح.

---

(١) قصة وصول مؤلف الكتاب إلى زبيد، وردت في المصادر الحضرمية المحلية، بصورة قريبة مما جاء في «النفس اليماني». فممن ذكرها الشيخ محمد بن عوض بافضل (ت ١٣٦٩هـ) فيما دوَّنه من أخبار «الرحلة المكية» لشيخه السيد الإمام أحمد بن حسن العطاس، قائلاً على لسان شيخه المذكور: «ولما توجه الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه من حضرموت إلى الحرمين من طريق البر، هو وخويدمه، على قدم التجريد، ووصل إلى زبيد. وجد السيد سليمان بن يحيى الأهدل في درسه، فجلس بجنب أحدِ الطلبة، فألقى السيد سليمان عليهم مسألةً، فسكتوا. فقال الحبيب عبد الرحمن للذي بجنبه: قل: الجوابُ كذا. فقال: يا سيدي، جواب هذه المسألة كذا وكذا. فقال: من أين لك هذا؟ فقال: من هذا الدرويش. فقام السيد سليمان إلى الحبيب عبد الرحمن، وقال له: من أنت؟ فقال: عبد الله. فقال: قد علمنا أن الخلقَ كلهم عبيدُ الله، ما اسمكَ؟ قال: عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، فقال: تتنكر علينا إلى هذا الحد!. فقال: الحاجُّ أشعث أغبر، فأخذه السيد سليمان إلى بيته وأكرمه، وبقي الحبيب عبد الرحمن في زبيد أياماً، يملي عليهم في معنى البسملة، بل في معنى الباء، بل في نقطة الباء، ثم توجه إلى مكة». انتهى. والفروق بين القصتين واضحة للمتأمل.

النسخ المعتمدة في تصحيح الشرح:

النسخة الأولى: من مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، وهي الكتاب التاسع ضمن مجموع رقمه ٢٧١١، تقع في ٣٣ ورقة، وبآخرها قصيدة أخرى للمؤلف وجواب العلامة يحيى الأهدل عليها. وهذه النسخة في مجلد تقع بعد نسخة الكتاب السابق «فتح الخلاق»، الذي نسخه عبد الرحمن بالرقيبة الأحمدي الحضرمي، وعلى طرة الورقة الأولى من نسختنا هذه، ما يفيد أنها مرسلة من حضرموت الى مليبار، عقب وفاة السيد المؤلف بمدة وجيزة.

النسخة الثانية: من مكتبة خاصة، تقع عقب نسخة «شرح القصيدة الفريدة»، الذي تقدم ضمن هذا المجموع، وهي في ٢٥ ورقة، غير مؤرخة.

* * *

تنبيه

تم ترقيم أبيات القصيد بأرقام صغيرة في نهاية كل بيت، كما تم ترقيم فقرات الشرح أيضاً تبعاً للأبيات المناسبة لها، حيث إن المؤلف، رحمه الله، كان يورد الأبيات ذات الموضوع الواحد معاً، ويشرحها تارة شرحاً منفرداً لكل بيت، وتارة يمزج شرح البيتين، وكل ذلك واضح للمتأمل.

❋ ❋ ❋

١٢٢

كتاب رفع الأستار عن مفاتيح
الأسرار للشيخ الإمام الفاضل
العلامة الحبيب عبد الرحمن
بن عبد الله بن أحمد
بلفقيه
نفع الله به والمسلمين وبوأه منازل المتقين آمين

٥١

هذه الرسالة مسماه رفع الاستار
عن مفتاح الاسرار شرح قصيدة
سيدنا الامام الوجيه السيد الشريف
عبد الرحمن بن الامام عبد الله بن احمد
بالفقيه باعلوي قدس الله سره
المتنقل الى الدار الآخره اواخر شهر
جماد الاخيره سنه ١١٦٢
تغمده الله برحمته واسكنه
بحبوح جنته آمين
امين

هذه القصيدة المسمّاة
مفتاح الأسرار في تنزّل الأنوار وإجازة الأبرار

سُبحَانَ رَبِّ العِزَّةِ المُتَعَالِي ... عَنْ كُلِّ ما يَصِفُونَ مِنْ أقْوَالِ
جَلَّ العَظِيمُ عَنِ الحُروفِ وَوَضْعِها ... وَعَنِ الحُدودِ وَعَنْ قُيودِ البالِ
فَلقَدْ تَعالى في سَمَاءِ سُمُوِّهِ ... عَنْ وَسْمِهِ بِسِماتِ رَسْم بالِ
وَلَقَد تَنَزَّلَ جودُه بِوجُودِه ... في الكَائِناتِ بِكُلِّ مَعْنى عَالِ
سُبحانَ مَنْ سُبُحاتِ وَجْهِ جَلالِه ... أعْمَتْ عُيونَ قَوابِلِ الإقْبالِ
مَعْناهُ ما يَعْنِيهِ في تَعْيِينِه ... في عَيْنِ مَعْنى العِزِّ والإجْلالِ
بَانَتْ مَبانِي بَيِّناتِ بَيانِهِ ... في صادِ والفُرقانِ والأنفالِ
فَبِه تَجَلَّى في مَعانِي قُدْسِهِ ... بالحَقِّ في الأوْصافِ والأفْعالِ
وَبِه جَلا أبْصارَ صَفْوةِ خَلْقِهِ ... ببصائِرِ الإنْباءِ والإرْسالِ
حَتَّى غَدَوا أقْمارَ شَمْسِ جَمالِه ... وَلها قُلوبُ المُؤمِنينَ مَجالِي
كُلٌّ على قَدْرِ الصَّفاءِ والاقْتِدا ... نالَ الهُدَى في أحْسَنِ اسْتِقبالِ
حَتَّى بَدا وَهَدى بِهدْيِ جَامِعٍ ... لِجوامِعِ الإعْطاءِ والإرْسالِ
المُصْطَفى خَيْرُ الوَرَى فأفاضَها ... في حِزْبِهِ مِنْ صَحْبِه والآلِ
فَتظَاهَرَتْ أنْوارُه فيْهِم بِهِمْ ... في التَّابِعِينَ وَكُلِّ وَاعٍ تَالِ
وَتَوَاتَرَتْ في تابِعيهِمْ ثُمَّ في ... كُلِّ العُصورِ على الهُدى المُتَوالِي
كُلٌّ يُبَلِّغُ عَنْه ما هُو بَالِغٌ ... في العِلْمِ أو في الذَّوْقِ والأحْوالِ

وِبِـه المُبَلَّـغُ قـد يـكـونُ لِوَعْيـه　　فَـوْقَ المُبلِّـغِ فـي هُـدى وَكَمـالِ
فـي حُـبِّـه أوْ قُـرْبِـه أوْ ذَوْقِـهِ　　أوْ شَـوْقِه بـالفَضْـلِ والإفْضـالِ
بـالفَضْـلِ والإفْضالِ فيما شَـا كَما　　شَـاءَ بِمـا شـاءَ مِـنَ المنْـوالِ
حَتَّى اسْتَفادَ مِنَ الرَّسـولِ حَقائقاً　　لَـمْ يَسْتَفِدْهـا حـامِـلُ الأقـوالِ
بَـلْ رُبَّمـا فاجـأهُ نُـورُ الحَـقِّ فـي　　وَجْـهِ الرَّسـولِ فَنال كُلَّ مَنالِ
والله وَهْـوَ الْحَـقُّ أظْهَـرَ خَلْقَـهُ　　بِـالحَـقِّ في عَـدم بِخَيْـرِ مِثـالِ
والنُّـورُ أجْمَـعَ نُـورَهُ وَبِه استوَى　　كُـلُّ الوجُـودِ بِأَبْـدَعِ استِكْمالِ
فَجَميـعُ ذَرَّاتِ الوجُـودِ لِكلِّهـا　　وَجْهَـانِ وَجْـهٌ بالوجُـودِ يُلالـي
وَظُهـورُ مَعْنـى الحقِّ فيـه ظُهورُه　　وَبِـهِ تَجَلَّـى فـي أجَـلِّ مَجالِـي
تُتْلَـى بِـه آيـاتُ فَيْـضِ وجُـودِهِ　　كَكلامِـه يَـتْـلوهُ بالأشْـكـالِ
وَبـه يُسَبِّـحُ كُلُّ شَـيء سَـرْمَدا　　يُثْنـي مَثانـي عِـزَّةٍ وَجَـلالِ
وكتَـابُـه فـي وَجْهِـهِ بِيَمِينِـهِ　　والمُعْرِضـونَ بِظَهْرِهـمْ وَشِمالِ
والثَّانِـيْ مِـنْ وَجْهَيهِ أبْـدَعُ صَورَةٍ　　وَتعيُّـنِ يَبْـدو بِشِبـهِ خَيـالِ
فَتَـرى وَتَسْـمَعَ فيـهِ سِـرّاً باهِـراً　　مِـنْ غَيْـرِه وَبِـهِ بِكُلِّ مَجالِ
إنَّ الـكَلامَ بِـهِ المَعَانِـي تَنْجَلِـي　　وَهْـوَ الهَـواءُ لِمقْطَـعِ وَفِصالِ
والواحِدُ الفَرْدُ الَّذي ظَهَرَتْ به الـ　　أعْـدادُ والأضْـدادُ فـي الإجْمـالِ
جُلِيَـتْ عَلَيْـهِ مَلابِسٌ مِـنْ صُورَةٍ　　نُسِـجَتْ بِأَحْسَـنِ مَنْظَـرِ وَجَـلَالِ
بعَجـائِـبٍ وغَـرائِـبٍ وَصَنـائِـعِ　　بِبَدائِـعِ فـي أمْثَـلِ الأمْثـالِ
بِتوافُـقٍ وَتحـالُـفٍ وَتَـكَـثُّـرٍ　　بِتَوَحُّـدٍ فـي سَـائِرِ الأحْـوالِ
وَبِهِ العُقولُ صَفَتْ فَأشْرَقَ وَجْهُها　　بِسَـنَا القَبُـولِ بِعَكْـسِ كُلِّ ظِـلالِ

إنَّ الحقائِقَ فـي الرَّقائِقِ تَنْجلـي ... بظُهـورِ معْنـى الحَقِّ في اسْـتقْبالِ

وَظُهـورُ نـورُ الحـقِّ أظْهَـرَ كَوْنَها ... فَبـهِ انْجلـتْ وَعلَـتْ بـكُلِّ مَعالي

فَهُـوَ المُحيـطُ بِـكُلِّ شَـيْءٍ جُوْدهُ ... وَوجُـودهُ وَخِصـالُ كُلِّ خِصـالِ

فَلَـهُ الكَمـالُ جَميـعـهُ وَلِخلقِهِ ... إمْـدادهُ بـالجُـودِ والإكْمـالِ

أجْلَـى البَصائِـرَ فانْجلـتْ آياتـهُ ... لِلْعَقْـلِ فـي فِكْـرٍ وَفـي اسْـتِدْلالِ

فَتَظَاهَـرَتْ أسْـرَارُها وَتَباهَـرَتْ ... أنْـوارُهـا بِـجَـواهِــرٍ وَلآلِـي

وَتَنَوَّعَـتْ أشْـجَارُها فَزَكَـتْ بِهـا ... أثْمـارُهـا بِـالفَضْـلِ والإفْضـالِ

فَبِـه كَسـاها حُلَّـةً مِـنْ جُـودِهِ ... فَتَـأَهَّـلَـتْ لِلْفَيْـضِ والإنْـزالِ

وَبِــهِ تَـراهُ وَهَـلْ تَـراهُ بَصِيْـرَةٌ ... ظَهَـرَتْ بـه فـي كُلِّ بَـالٍ بـالِ

لَكِنْ يَكونُ وجُودُها في خِلْقَةِ الإنْـ ... ـسـانِ بَـعْـدَ حَــواسه وَخيالِ

وَتَمَكَّنَـتْ بـالطَّبْـعِ مِنْـهُ فَإنَّهـا ... مِـنْهـا تُـشَـابُ بِـظُلْمَـةٍ وَخَيـالِ

فـإذا أرادَ الله تَطْهيــراً لَـهَـا ... مِنْهـا وَتَقْديسـاً لِكُـلِّ وِصـالِ

سَلَكَتْ سَبِيلَ الاجْتِهادِ وَصابَرَتْ ... وَصْـلَ الجِهادِ وَفَصْـلَ كُلِّ فِصَالِ

وَاسْـتَقْـبَـلَـتْ مِـرْآتَهـا مِـرْآةَ مَـنْ ... حَصَـلَ القَبـولُ لَـهُ مِـنَ الإقْبـالِ

كَـذَوِي العُلـومِ العَامِلِينَ وَكَالشُّـ ... ـيُـوخِ العَارِفِينَ وَصَالِحِـي الأبْدَالِ

أوْ غَيْرِهـم مِمَّـنْ تَلَقَّـى وَصْلَهُـم ... بِتَـعـلُّـقٍ فَـتَـخلُّـقٍ فَـنَــوالِ

فـي تَـوْبَـةٍ فَـإرادَةٍ فَـتَـعَلُّـمٍ ... فَـتَـعَـمُّـلٍ فَـتَـوَصُّـلٍ لِوِصَـالِ

بِالعِلْمِ والأعْمالِ أوْ بِالذِّكْرِ والإقْبـ ... ـالِ أوْ بـالجِـدِّ والتِّـرْحــالِ

بِعِبـادَةٍ وَعُبــودَةٍ بعقيــدَةٍ ... مَعْقُـودَةٍ مِـنْ خالِـصِ الإرْسـالِ

مُتَقَلِّـداً لِلصَّـالِحـاتِ مُـقَـلِّـداً ... لِلْحَـقِّ غَيْـرَ مُقَيَّـدٍ فـي حَـالِ

فَمِنَ الحَضِيضِ عُروجُه فَوْقَ العُلا ... وَخُروجُه مِنْ ظُلْمَةِ الإضْلالِ

وَيَرى الأمُورَ جَمِيعَها بالله والْـ ... إفضالِ بالطّاعَاتِ والأعْمالِ

وَالخَلْقُ في جَهْلٍ وَعَجْزٍ مَا لَهم ... في سائِرِ الأكْوانِ مِنْ مِثْقالِ

وَيَرى الوجُودَ جَمِيعَهُ والجودَ مِنْ ... فَيْضِ الكَرِيمِ بِوابِلِ الإفْضالِ

فَيَقِرُّ في إيمانِه ويفرُّ في الإحْـ ... سانِ للمُعْطي لِكُلِّ سُؤالِ

وَيُقيِّدُ الأهْوا بِتَقْوى مُخْلِصٍ ... والطَّبْعَ يَقْهَرُهُ بِحُكْمِ العالِي

فَبِذاكَ يَخْرُجُ عَنْ هَواهُ وَطَبْعِهِ ... بالامْتِثالِ لِشَرْعةِ المُتعالي

فَيَصيرُ قَصْداً واحداً مَقْصُودُه ... وَيَصيرُ عَبْداً خالِصَ الأحْوالِ

بِأَدَائِه المَفْروضِ ثُمَّ بِقُرْبِه ... في كَثْرَةِ الطّاعاتِ والأنْفالِ

وَبِصِدْقِهِ في قَصْدِه وَدَوامِه ... في ذِكْرِه مُسْتَهْتِراً مُتَوالِ

لَما تَوَلّى الحَقّ في طاعاتِه ... بِالحَقِّ كانَ لَه أجَلُّ مُوالِ

فَبِذاك أخْرَجَهُ إلى نورِ الهُدى ... مِنْ ظُلْمَةِ الدُّنْيا وَكُلِّ ضَلالِ

وَهُناكَ يَفنى عَنْ شُهودِ شُؤونِه ... ويَصِيرُ مِثْلَ الرَّسْمِ في اضْمِحْلالِ

وَيَغيبُ عَنْه وجُودُهُ في جُودِه ... وَيَرى بِمَعْنى الحَقِّ كُلَّ مَقالِ

فَبِه يَرَى وَبِه يَقولُ وَيَحْتَذِي ... وَبِه يُحاوِلُ سَائِرَ الأحْوالِ

وَيصيرُ مَوجُوداً بِجُودِ الحَقِّ في ... كُلِّ الوجُودِ ووَصلِ كُلِّ وِصالِ

وَيَعودُ مُنْعَكِساً بِه نُورُ الهُدَى ... بَيْنَ الوَرَى لِلْحَقِّ مِنهُ مَجالِي

فَتَراه خَلْقاً وَهُوَ حَقٌّ جامِعٌ ... لِمجامِعِ الإفْضالِ والإنْزالِ

وَالحَقُّ يُذْكَرُ حَيْثُ يُذْكَرُ نَعْتُهُ ... وَلَهُ بِذِكْرِ الحَقِّ ذِكْرٌ عالِ

وَمَتى بَدا أبَداً بَدا نُورُ الهُدَى ... فَيَراه مُعْتَقِدُوه كُلَّ جَلالِ

وَيفوزُ مَنْ وَالاه في مَوْلاه مِنْ ... أَحْبابِه بِنِهايَةِ الآمالِ

وَيكون كالمِشْكاةِ وَالمِصْباحِ والزَّ ... يْتِ الَّذي بِزُجاجَةٍ مُتَلالِي

رَقَّ الزُّجاجُ وَرَقَّ ما في جَوْفِه ... فَتَشابَها فَتَشاكَلا في الحالِ

وَالحَمْدُ لله الحَميدِ بِحَمدِه ... مِنْ فَضْلِه نِلْنا أَجَلَّ مَنالِ

وَبِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ اتَّصَلَتْ لنا ... أَسْنى الصِّلاتِ بِأَكْمَلِ الأَوْصالِ

وَبِهِ بَلغْنا كُلَّ خَيْرٍ فَائِضٍ ... بالجودِ في التَّفْصيلِ والإِجْمالِ

وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِه اتَّضَحَتْ لَنا ... سُبُلُ الرَّشادِ وَنَهْجُ كُلِّ كَمالِ

أَنْوارُ تَحْقيقٍ بِكُلِّ حَقيقَةٍ ... قَدْ طابَقَتْ لِلْحَقِّ في الإِكْمالِ

بِرِسالةٍ وَنُبُوَّةٍ وَوِلايَةٍ ... بِشَريعةٍ وَطَريقَةِ الإِيصالِ

فاضَتْ عَلَيْنا مِنْ بِحارِ مُحَمَّدٍ ... بِمَعارِفٍ وَلَطائِفٍ وَعَوالي

إِرْثُ الشُّيُوخِ العارِفِينَ أُولِي العُلو ... مِ العامِلِينَ مَطالِعُ الآمالِ

كَالوَالِدِ الشَّيْخِ الإِمامِ وَجَدِّي الْـ ... حَبْرِ الهُمامِ وَخَالِي المِفْضالِ

فَلَقَدْ حَظَيْتُ بِقُرْبِهِم وَبَلَغْتُ آمـ ... الِي بِهِم وَبِهِم سَبَقْتُ رِجالِي

وَبِغَيْرِهِم مِنْ سَادَةٍ وَأَئِمَّةٍ ... وَمَشايِخ كُبْرى وَصَلْتُ حِبالِي

مِنْ سَاكِني الحَرَمَين واليَمَنَيْن مَع ... شَامٍ وَمِنْ أَهْلِي وَأَهْلِ حِلالِي

بالعرضِ والتَّحديث والإِسْماعِ أَوْ ... بِإِجازَةٍ وَوِجَادَةٍ ونَوالِ

في الفِقْهِ والأَصْلَيْنِ والتَّفْسِيرِ مَعْ ... عِلْمِ الحَدِيثِ مَسانِد وَعَوالِ

بَيْني وَبَيْنَ الحافظِينَ ثَلاثَةٌ ... واثْنَينِ بالفُقَهاءِ كَانَ وِصالي

وَرَقائِقٌ وَحَقائِقٌ بِمَسالِكٍ ... عَرَبِيَّةٍ وَمَدارِكُ العِقالِ

بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ وَتَعَلُّقٍ ... وَتَخلُّقٍ لِتَحَقُّقٍ وَنِزالِ

والأَخذُ فـي التَّلْقِين والإلْباسِ في ... عَهْـدٍ بِوَصْـلِ سَلاسِـلِ السّلْسـالِ

بِطَرائِقٍ مَشْهُورةٍ نَافَتْ على العشْـ ... ريـن قَـدْ عُرِفَـتْ بِخيْـرِ نَـوالِ

وَالإِذْنُ في الإرْشادِ والتَّحْكيم والتَّـ ... دْريـسِ والفَتْـوى لِكُلِّ سُـؤالِ

هـذا اجْتِهـادِي ثُـمَّ مَـنَّ الله بالْـ ... فَتـحِ العَظِيـم وَفَـوْقَ مـا فـي بالي

أَعْطَـى عَطَايـا لا تُحَـدُّ ونِعمـةً ... لَيْسَـتْ تُعدُّ بِكُلِّ حـالِ حالـي

إنْ قُـلْتُـهـا مُتَحَدِّثـاً عَـنْ أَمْـرِه ... فـي شُـكْرِه مِـنْ ذِكْـرِه بمقـالي

فالأمْـرُ مِنْـه لَـه إلَيْـهِ وَلَيْـسَ لـي ... فـي كُلِّ مـا قَـدْ قُلْـتُ مِـنْ مِثْقَـالِ

فالعجْـزُ فـي ذاتـي وَجَهْلـي لازِمٌ ... والفَقْرُ سـارِي في جَميعِ خِصالي

وَبهِ وجُودي في الذَّواتِ وَقَدْ كَسا ... نـي فـي الصِّفـاتِ بِقُـوَّةٍ وَمَحـالِ

وَبِـذاكَ حَمَّلنـي الْأمانـاتِ الَّتِـي ... عنهـا السَّـما والأرضِ ذَاتِ كَلالِ

وَأَنـا الظَّلومُ إذا ادَّعَيْتُ الحَمْلَ لي ... وَأَنـا الجَهـولُ إذا جَهلْـتُ لحالي

فَبـه حَمَلْـتُ أي احْتَمَلْـتُ لِحُلَّـةٍ ... مِـنْ جُودهِ سترتْ جميـعَ خِلالي

أَيَغُرُّنـي لُبْسـي لأحْلـى حُلَّـةٍ ... وَأَنـا العَليـمُ بِعُنْصُـري وَمَآلـي

مـا كان ذاتِيـاً فَلَيْـسَ يَـزول بالْـ ... عَـرْضِ وَلَـوْ يُكْسـى بِـكُلِّ كَمـالِ

وَلِـذاكَ يُمْقَـتُ مُعْجَـبٌ بِجَميلـهِ ... لِـغُـرورِه عَـنْ نَفْسِـهِ بِخَيـالِ

لا يُوجَـبُ النُّعمـى عَلَيْـه عُلوُّهـا ... بَـلْ حِفْظُهـا بالشُّكْرِ والإذْلالِ

والخَـوْفُ مِنْ مَوْلاه إنْ أعْطى فَلَم ... يُـشْـكَرْ فَيُبْـلِيـهـا بِـكُلِّ زَوالِ

بَـلْ خَـوْفُـهُ فـي نِعْمَـةٍ دِينِيَّـةٍ ... أَوْلـى لِفَضْـلِ مـآلِها وَالْحـالِ

بَـل لا يَـرى أَمْثالَـه أَهْـلاً لَهـا ... لِقُصُـورِهِ عَنهـا بِكُـلِّ مُحـالِ

بَـلْ لَيْـس يُمْكِـنُ شُكرَ نِعْمَـةِ رَبِّهِ ... إلّا بِـنِعْمـتِـه وَشُـكْرٍ تـالِ

الشكْرُ مِنه لَه يَكُون بِفَضْلِهِ وَالشكْرُ مِنْكَ بِغَيْرِه كَمحالِ

فَاسْأَله شُكْراً مِنْه عَنْكَ لنَفْسِهِ وَبِهِ اسْتَعِنْ في سَائِرِ الأحْوالِ

وَبالافْتِقَارِ بِكُلِّ ما حاوَلْتَه وَالاضْطِرارِ بِأَفْضَلِ اسْتِعْمالِ

وَإِذا فَرَغْتَ مِنَ القِيامِ بِخصْلَةٍ فانْهَضْ لثانِيَةٍ بِلا إِمْهالِ

وَارْجِعْ إِلَيْه بِما فَعَلْتَ مُوَحِّداً في الذَّاتِ وَالأَوْصافِ وَالأفعالِ

وَاحْمدْهُ للتَّوْفِيقِ مِنْه بفعلِهِ وَارْغَبْ إِلَيْهِ لِبَسْطِ كُلِّ نوالِ

وَاهْرُبْ إِلَيْه مِنَ الوَرَى وَشُهودِهِم وَاشْهَدْهُ فيهم في أَجَلِّ تَعالِ

وَاخْشَ الوقُوفَ أَوِ الرُّكونَ إلى الـ سِّوَى مِنْ طاعَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ أعمالِ

تُعطِي الحَقِيقَةَ حَقَّها وَتَكُون بالْـ فَقْرِ الحَقيقِيْ في الْغِنى المُتعالِي

وَتَصيرُ أَنْتَ بِهِ بِكُلِّ تَعيُّنٍ وَيَعودُ منْه عَلَيْكَ كُلُّ مَنالِ

وَتَبِيْنُ منْه عَلَيْكَ أَجْمَلُ صُورَةٍ عُلويَّةٍ فيها أَجَلُّ جَمالِ

وَوَصِيَّتِي لَكَ يا أخِي كُنْ عَبْدَهُ أَبداً بِما أَوْلاكَ مِنْ مِنْوالِ

وَامْحِ الرُّسومَ وَكُلَّ دَعْوَى غَيْرِهِ وَاحْذَرْ تكون بِما عَلَيَّ وَما لي

وَخفِ الغرورَ مِنَ القُصورِ بِغَفْلَةٍ في نَظْرَةٍ أو خَطْرَةٍ أو بَالِ

والعِلْمُ أَشْرَفُ ما طَلَبْتَ ولكِن الـ عِلْمَ اللَّدُنِّي المَنْهَلِ الإِنْزالِ

يَهْدي إلى عَيْنِ الهُدَى وَيُرَى بِهِ الـ حُكْم الجليّ بِكُلِّ مَعْنى عالي

وَبِه الحَقِيقَةُ في الرَّقيقَةِ تَنْجلي وَيُذاقُ طَعْمُ الرُّشْدِ في الأعْمالِ

والله بُدُّكَ لَيْسَ بُدُّك غَيْره وإلَيْهِ مِنْكَ يؤولُ كُلُّ مآلِ

فاطْلُبْ بِعَجْزِك مِنْه أَكْمَل قُوَّةٍ وبفَقْرِكَ ارْغَبْ في الوَلا المُتَوالي

وَبِنورِه اغْسِلْ كُلَّ جَهْلِكَ[1] ثُمَّ قِفْ في الظِّل تَحتَ الفَيْضِ والإِفْضالِ

---

(١) في نسخة: وجهك.

قُلْ رَبِّ يا مَوْلاي عَبْدُكَ واقفٌ بالبـــابِ يَرجُــو غايَـةَ الآمـالِ

خُذهـا مُذَكِّـرةً وَكُنْـتُ نَظَمْتُهـا لِأخٍ عَلـى حُـبِّ الحَبيـب مُـوالِ

طَلَبَ الوَصِيةَ والإجازَةَ فاقْتَضى الْـ ـحـالُ الجَـوابَ بِهَـذهِ الأقـوالِ

فَـأَجَـزْتُـهُ فيـهـا وفيـمـا قُلْتُـه مِـنْ نظْـمٍ أو نَـثْـرٍ وَحـلِّ سُـؤالِ

وكَـذاك كُلُّ أخٍ وَطالِـبِ حِكْمـةٍ ومـرافِـقٍ لِلْحـقِّ بـالإقبـالِ

والحَمْـدُ لله الحَميـدِ بِحَمْـدهِ فـي حَمْـدِهِ المَحْمـودِ فـي الآزالِ

ثـمَّ الصَّـلاة علـى النَّبـي مُحمَّـدٍ وَعَلـى الصَّحـابـةِ كُـلِّهـم والآلِ

والتَّابِعيـن مَـعَ السَّـلامِ وَخَتْمِهـا سُـبْحـانَ رَبِّ العِـزَّةِ المُتَعـالـي

انتهت القصيدة

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ لله على ما أنعم من مشارع الإسلام والإيمان، ومطالع الإحسان والعرفان، والصلاة والسلام على عبده الجامع لجميع الكمالات العبدية في كل شأن، الفاتح، القاسم، المانح لأتباعه من فضل ربه بكل ما يخصّه من إرشاد وبيان، وآله وأصحابه وأتباعه مدى الأزمان.

وبعد؛

فقد ألحّ عليَّ بعض الإخوان، الموالين في الله على الحق والإيمان، أن أشرح قصيدتي المسمّاة «**مفتاح الأسرار في تنزل الأنوار، وإجازة الأبرار**».

فتعذّرتُ إليه عن ذلك بأنها مشتملة على أشياء من علوم الطريقة وأسرار الحقيقة، التي تُصَانُ عن غير أهلها السالكين بتلك المسالك، ولا يحسن بذلها إلا لعارف بتلك المدارك، فلم يعذرني عن ذلك. ورأيتُ القصيدة قد شاعت فربما يفهم السامع منها مِنْ غير شرح ما ليس مُراداً فيقعُ في المهالك.

فعلّقتُ عليها هذه الحواشي، وأستمِدُّ التوفيق بعون القادر المالك، وذلك أوائل شهر رمضان عام خمس وخمسين بعد مئة وألف، وسمّيته:

«رفع الأستار عن مفتاح الأسرار».

***

سُبحَانَ رَبِّ العِزَّةِ المُتَعَالِي ... عَنْ كُلِّ ما يَصِفُونَ مِنْ أَقْوَالِ(١)
جَلَّ العَظِيمُ عَنِ الحُروفِ وَوَضْعِها ... وَعَنِ الحُدودِ وَعَنْ قُيودِ البالِ(٢)
فَلَقَدْ تَعالى في سَمَاءِ سُمُوِّهِ ... عَنْ وَسْمِهِ بِسِماتِ رَسْمِ بالي(٣)

(١) أي تنزّه الله تعالى في ذاته وصفاته وآياته وكلماته وأفعاله وتجلّياته، تنزيهاً يليق بعظيم جلاله في كلّيات الأمر وجزئياته فهو مالك العزّة كلّها وإليه يرجع الأمر كلّه وله الكمال المطلق الذي لا يشوبه تقييد، المحيط بكل كمال بلا تخصيص ولا تحديد، فهو المتعالي عن كل ما يصفون ـ أي العباد ـ من أقوال تصدر عنهم؛ لأنها مقيّدة بقدر قدرتهم في الألفاظ والمعاني والإفراد والتركيب في المباني، فلذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

(٢) أي تعالى العظيم، المطلق في كلِّ تعظيم، عن الحروف أي حروف الهجاء التي هي المباني، والكلمات التي هي ظروف المعاني، ووضعها لمبنى منصوص، أو معنى مخصوص، وعن الحدود التي في مبانيها، وكذا معانيها، وعن قيود فهم الذهن وتقييد البال، في كل علم ومقال.

(٣) أي تعالى الله في سماء تنزيهه وسموِّه، وعظيم جلاله المطلوب وعلوِّه، عن وسْمِهِ في شيء من قديم شأنه بسمات المحدثات أو رسم أسمائه برسم بال أي محدثٍ؛ لأنّ المحدَث لا وجود له حقيقة، وإنما وجوده بالحق عند أهل الحقيقة، فلا يقوم الباقي الذي لا حدّ له بالمحدود الفاني بأي طريقة.

***

وَلَقَد تَنَـزَّلَ جـودُه بِوجُـودِهِ ... في الكَائِناتِ بِكُلِّ مَعْنى عَالِي(١)
سُبحانَ مَنْ سُبُحاتُ وَجْهِ جَلالِهِ ... أَعْمَتْ عُيونَ قَوابِلِ الإِقْبالِ(٢)

(١) أي مع أنه سبحانه رفيع الدرجات في سماء علوّه، وآيات سموّه، أحبَّ أنْ يُعرف بصفاته، وتظهر آثارها في مكوّناته، فتتنزل بفضل جوده، في نوره ووجوده، فأخرج الكائنات مِنْ حندس الظلمات، ومِنْ عدمِ العدم، فأظهرها بأنواره، وميّزها بأسراره، بتعيّنِ كلٍّ منها بمعنى من معانيه القدسية، وتبيّن لكل خلقه ما يستحقه في ذاته وصفاته ومبانيه في النوعية والجنسية، ومع ذلك لا يشبهها ولا تشبهه في كل حال فهي به قائمة في كل المحال، بلا اتصال ولا انفصال، ولا تقييد ولا إشكال، بكونها ذات حدود وذوات أشكال.

(٢) أي تنزّه الله تعالى تنزيهاً يليقُ بعظيم جلاله وعليّ كمالِهِ عن أنْ يُكيّفه وَهَمٌ، أو يحققهُ عِلْمٌ، فإنّ سُبحاتَ وجههِ العظيم أي أنوار ذاته التي دونها سبعون ألف حجاب لو تجلّى بها على خلْقِهِ لأحرقتهم وتلاشى وجودهم عندها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقد أعمتْ هذه الأنوار قوابل الفهوم، المُقبلةِ عليها بالعقول وبالعلوم، وطلب الوصول، فكل مَنْ أقبل بقوّته رجع كسيراً، وكل مَنْ توصّل عاد طرفه كليلاً حسيراً، إذا علمتَ ذلك: علمتَ أنّ الله تفضّل على عباده فأذن لهم أنْ يذكروه بألفاظهم المخلوقة القاصرة عن معاني الجلال العظيمة الباهرة، فيتلون بها كتابه العظيم، ويذكرون بها صفاته العلية عن الفهم والتفهّم، وقد جاء في الحديث: «الحمد لله الذي أذن لي بذكره»، والله أعلم.

* * *

مَعْناهُ ما يَعْنِيهِ في تَعْيينِه	في عَيْنِ مَعْنى العِزِّ والإجْلالِ (١)
بَانَتْ مَبانِي بَيِّناتِ بَيانِهِ	في صادِ والفُرقانِ والأنفالِ (٢)
فَبِه تَجَلَّى في مَعانِي قُدْسِهِ	بالحَقِّ في الأَوْصافِ والأفعالِ (٣)

(١) أي المعنى السّاري، في جميع الأكوان من سرِّ الباري، معناه لا يكيّف وهو معروف، ولكنه لا يُعرّف، وهو موصوف، فعَينه ظهرت بها الأعيان، وتميّزت

الأعراض والعوارض في جميع الأكوان، وإليه يرجع الأمر في تعينه في عين إطلاقه في كل كمال، وإنما القيود في الصورة هو الظاهر بالأشكال، فيما ظهر وما بطن في عين معنى العزة والإجلال، فله الجود والوجود والكمال، لا يزيده وجودها ظهور، ولا عدمها خفاء في جميع الأمور، وقد كان قبل أنْ يخلُقَ الخلْقِ والزمان والمكان، منفرداً بجميع الكمال، وهو الآن على ما عليه كان، في كل شأن.

(٢) أي ظهرت مباني بيّنات بيان المعنى المقدّس الساري في الأكوان، في تنزيل القرآن، بكل فكرٍ وإمعانٍ، فهو في كل سورة ظاهر، وفي صاد والفرقان والأنفال باهر، ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شيء عليم﴾ [الحديد: ٣] ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

(٣) أي إن الله تجلّى بالمعنى الحق القدسي، في الأوصاف والأفعال في جميع الكون المعنوي والحسي، فظهر بذلك المعنى في كل صورة، وأعطاها كمالها اللائق بها في ذاتها وصفاته المنشورة، فهي في ذلك ظهرتْ بالحق وتعيّنت على التحقيق، ولولاه لكانت من الباطل والعدم عند أهل الفهم والتدقيق، فلا تظن هناك غيرية ولا فرق ولا تفريق، ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] أزلاً وأبداً في كل طريق.

* * *

وَبِـه جَلا أَبْصـارَ صَفْـوةِ خَلْقِهِ	ببصـائِرِ الإنْـباءِ والإِرْسالِ (١)
حَتَّى غَـدَوا أَقْمارَ شَـمْسِ جَمالِه	وَلهـا قُلوبُ المُؤْمِنِـينَ مَجالي (٢)
كُلٌّ عـلى قَدْرِ الصَّفـاءِ والاقْتِدا	نالَ الهُدَى في أَحْسَنِ اسْتِقبالِ (٣)

(١) أي فبالمعنى الإلهي القدسي جَلَا سبحانه أبصار صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين، وكحلها بنورٍ خاصٍّ مِنْ نوره ليظهر لهم بخاص تجلّيه عليهم، خصائص تنزُّلِ إليهم، ببصائر الإنباء عنه والإرسال برسالته، فاصطفاهم لذلك رحمة بعباده، وأيّدهم بها هنالك ليفتح بهم لخلقه أبواب رشاده، ليتقرّبوا إليه بنور توفيقه وإرشاده.

(٢) أي إنّ صفوة الله من عباده مِنْ الأنبياء والمرسلين في تلقي الأنوار، والترقّي في الأسرار، والتحلّي في الآثار، مثل الأقمار، تتلقى أنوارها من الشموس، ثم يفيض ذلك النور عنها على جميع ما يتلقّاه منها بالتجلّي المعكوس، على مقدار محسوس، وغير محسوس، فكذلك المؤمنون يتلقّون تلك الأنوار من الأنبياء والمرسلين، بواسطةٍ وغير واسطة في كل دين.

فإذا صح التلقّي، ووضح الترقّي، انطمست الواسطة في الأعيان حال ظهوره، وتحقّق بالتحقيق أنّ الحق هو الهادي بنوره وأنه ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ الآية [النور: ٣٥].

(٣) أي كلٌّ مِنْ عباد الله المتقين ينالون الهدى والكمال، على قدر الاستعداد بحسب صحة الإقبال، في أحسن الاستقبال، لقبلة الحق على كل حال، بقدر صفاء عقولهم، واقتفاء رسولهم، في طريق الحق بالعلم والعمل على التوحيد والصدق في كل اعتقاد واحتمال.

* * *

حَتَّى بَـدا وَهَدى بِهـذْي جَامِعِ	لِجَوامِعِ الإِعْطاءِ والإِرْسالِ (١)
المُصْطَفـى خَيْرُ الوَرَى فأفاضَها	في حزْبِـهِ مِنْ صَحْبِه والآلِ (٢)
فَتَظَاهَـرَتْ أَنْـوَارُه فيهِـم بِهِـمْ	في التَّابِعِـينَ وَكُلِّ وَاعٍ تَـالِ (٣)
وَتَوَاتَـرَتْ في تابِعِيهِـمْ ثُـمَّ في	كُلِّ العُصورِ على الهُدى المُتَوالِي (٤)

(١، ٢) أي لم تزل أنوار الحق تتنزّل بواسطة رسله من لدن آدم ﷺ أوّل الرسل، لكل رسول وحي منصوص، بوجه مخصوص، إلى أنْ بدا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو خير الورى أي الخلْقِ مِنَ الرسل وغيرهم وخاتم النبيين، فأظهر للجميع مناهج الهدى، وكل ما ينجّي من كل ردى، وجاء بهديٍ جامع لجميع ما جاءت به الرسل، فجَمَعَ فيه كل مفرّق، فعمّت رسالاته كذلك جميع الخلق، وأشرقت أنواره في كل الطرق إلى الحق، فهو وارثُ جميع الأنبياء في جميع أنوارهم، وهم له مقدّمة، وهو حائز جميع أسرارهم، في جميع أحوالهم وأطوارهم، وأفاضها على حزبه المفلحين، وصحبه المنجحين، وآله الأكرمين، فهم ورثته الكاملون، العالمون العاملون، كل منهم متودّى، على ما قسم الله له من ظاهر أو باطن أو كلاهما في قاصر ومتعدى.

(٣، ٤) أي تظاهرت أنواره صلى الله عليه وآله وسلم في آله وصحبه، وتباهرت أسراره في أتباعه وحزبه، فأفاضها كذلك على التابعين لهم بإحسان، وحفظ عنهم كل واعٍ بنورِ البصيرة، تابع لهم على الطريق المستنيرة، في كل شأن، وهكذا في جميع العصور والأزمان، بالهدي المتوالي بالإسلام والإيمان، بين أهل العلم والإيقان والعرفان، إلى آخر أوان.

واعلم أنّ الحق والهدى ثابت لا يزول، وإنما يخفى لما أراد الله من ظهور الجهل والفتن والفضول، فإنّ الدِّين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فلا تظن أنه يزول.

***

كُلٌّ يُبَلِّـغُ عَنْـه مـا هُـو بَالـغٌ ... في العِلْم أو في الذَّوْقِ والأحْوالِ (١)

وبِـه المُبَلَّـغُ قـد يكـونُ لِوَعْيـه ... فَوْقَ المُبَلِّغِ في هُدى وَكَمالِ (٢)

فــي حُبِّـه أوْ قُرْبِـه أوْ ذَوْقِـهِ ... أوْشَوْقِهِ بالفَضْلِ والإفْضالِ (٣)

بالفَضْلِ والإِفْضالِ فيما شَا كَما | شاءَ بِما شاءَ مِنَ المَنْوالِ (٤)
حَتّى اسْتَفادَ مِنَ الرَّسولِ حَقائقاً | لَمْ يَسْتَفِدْها حامِلُ الأقوالِ (٥)
بَلْ رُبَّما فاجاهُ نُورُ الحَقِّ في | وَجْهِ الرَّسولِ فَنال كُلَّ مَنالِ (٦)

(١) أي كل مَنْ هداه الله باتباع الرسول، ووفّقه لنيل الهدى بصحة الإقبال ومطابقة القبول، فقد آتاه الله الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ونوراً منيراً، فإذا تحقّق بذلك الحق فهو وارث لأفضل الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في حرثِ الهدى حارثٌ في قلوب المؤمنين، يبلّغ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العلم المنقول والمعقول، أو في الذوق المقبول، فيرِثُ العلم الذي هو ميراث الأنبياء والمرسلين، ويكتسب المقامات والأحوال التي ارتقى إليها أكابر الأولياء والصالحين.

(٢، ٣) أي ربما كان المُبَلَّغُ (بفتح اللام) أوْعَى للعلم من المُبَلِّغ (بكسرها) وأزكى في الفهْمِ من المعلِّم، فينال مِنَ الهدى والكمال، ما لم ينله معلّمه في جميع الخصال، فيفوقه بالجذبة من الله، ويكون فوقه في حبّه لله، وقربه من الله، وذوقه لمعاني ما جاء عن الله، وشوقه إلى لقاء الله، في التلقي عن الله، وذلك واقعٌ بالفضل من الله يختص برحمته من يشاء.

(٤، ٥، ٦) أي ربما كان المبلِّغ حامل فقه غير فقيه، فيبلغ القول كما سمعه فيستفيد منه المبلَّغ (فتح اللام) حقائق من المعاني، ودقائق من المباني، لم يستفدْها الناقل لتلك الأقوال، والمبلِّغ إنما أخذ عنه الأقوال فقط، وإنما استفاد الفقه والمعاني من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل ربما ارتفعت الوسائط وفاجأه وجه الحق فيما قاله الرسول بوجهه الذي بلغه، فاستفاد عن الله، ونال كل منال في معرفة الله ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]

بفضل الله، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] إنما النبي قاسم والله معطٍ، والله أعلم.

* * *

وَاللهُ وَهُوَ الحَقُّ أَظْهَرَ خَلْقَهُ ... بِالحَقِّ فِي عَدَمٍ بِخَيْرِ مِثَالِ (١)

وَالنُّورُ أَجْمَعَ نُورَهُ وَبِهِ اسْتَوَى ... كُلُّ الوُجُودِ بِأَبْدَعِ اسْتِكْمَالِ (٢)

(١، ٢) أي إنّ الله هو الموجود الحق، المنفرد بالوجود الحقيقي المحقق، فأحب أنْ يُعرَفَ بظهور أسمائه وصفاته، بآثارها في الكون في كليّاته وجزئياته، فأظهر الخلق بنور القِدَمِ، بأحسن مثال بديع الحُكْمِ والحِكَمِ، فليس مِنَ الإمكان أبدع ممّا كان، كما قدّره القضاء وقرّره القلم، وكيف يكون وقد أبرزه بعلمه، وخصصه بإرادته، وأتقنه بقدرته، وأبدعه بحكمته، بأبلغ وجهٍ وأتم، والله نور السماوات والأرض ونور كل شيء ولولا نوره المحيط بكل شيء لما ظهر شيء، فالنور أجمع نوره، وبه استوى في كل شيء تَعيُّنِهِ وظهوره، فظهر بأبدع استكمال، في كل صورة، لما أفاضه الحق عليه مِنْ صورة الكمال المجازي، وأنار نوره.

* * *

فَجَمِيعُ ذَرَّاتِ الوُجُودِ لِكُلِّهَا ... وَجْهَانِ وَجْهٌ بِالوُجُودِ يُلَالِي (١)

وَظُهُورُ مَعْنَى الحَقِّ فِيهِ ظُهُورُهُ ... وَبِهِ تَجَلَّى فِي أَجَلِّ مَجَالِي (٢)

تُتْلَى بِهِ آيَاتُ فَيْضِ وُجُودِهِ ... كَكَلَامِهِ يَتْلُوهُ بِالأَشْكَالِ (٣)

(١، ٢) أي إن جميع ذرّات الوجود من البسائط والمركبات، والجزئيات والكليات، لها وجهان، وجه في حدِّ ذاتها، وهو عدَمٌ محض، وظَلَم، لم يشم رائحة الوجود والنور، ولم يخرج عن ظلمة العدم في شيء من الأمور، وسيأتي الكلام عليه، والثاني من وجهيه، الوجه الذي إلى الله، الذي أظهر الله فيه نوره، وتجلّى فيه بأحسن

صورة، فهو بالوجود يلالي (بقلب الهمزة ياء) أي يشرق، فليس له ظهور في نفسه، وإنما ظهوره بظهور معنى الحق فيه، وإشراق أنوار الوجود عليه، وتجلّيه في أجلّ تقديس وتنزيه، من غير اتصال ولا انفصال، ولا مماثلة ولا أشكال، ولا مقابلة ولا استقبال، فظهر الكون بأجلّ مجال من مجالي الحق، وللحق كل الجمال والكمال.

(٣) أي إن آيات الله الباهرة، وتجلّياته الباطنة والظاهرة، يتلوها في صفحات الكائنات كل عارف، وتنكشف لكل ذي نور مكاشف، وهو غير حال فيها، ولا متصل بها، ولا منفصل عنها، كما يتلو آيات القرآن العظيم، والوصف القائم بذات الله القديم بالحروف والكتابة في كل قراءة وتعلّم وتعليم، فهو مكتوب في معنى مصاحفنا، مقروء بألسنتنا، محفوظ في قلوبنا، غير حال فيها، وهو صفة من صفاته، فكذلك في بقية الصفات، فالقدرة الإلهية مثلاً تتجلّى في عضو الفاعل، بأنوار الحق، فلله الخلق وحده لا شريك له في كل قابل، وللعبد النسبة في ظهور التجلّي فيه من غير حلول ولا اتحاد، مثل ما قدّمنا في الكلام في حقّ القائل، والله أعلم.

* * *

وَبِهِ يُسَبِّحُ كُلُّ شَيْءٍ سَرْمَدا ... يُثْنِي مَثَانِي عِزَّةٍ وَجَلالِ (١)

وكِتَابُهُ فِي وَجْهِهِ بِيَمِينِهِ ... والمُعْرِضُونَ بِظَهْرِهِمْ وَشِمالِ (٢)

والثَّانِ مِنْ وَجْهَيهِ أَبْدَعُ صُورَة ... وَتَعيُّنٌ يَبْدو بِشِبْهِ خَيالِ (٣)

فَتَرَى وَتَسْمَعَ فِيهِ سِرّاً باهِراً ... مِنْ غَيْرِه وَبِهِ بِكُلِّ مَجالِ (٤)

(١، ٢) أي كل شيء من مخلوقات الله يسبّحُ الله لفظاً ومعنى، سرمداً تثني على الله بأنه المنفرد بالعزة والجود، والنور والوجود، والجلال والكمال، ليس لغيره ذرّة مِن ذلك بحال، فالمقبلون على الله وهم جميع المخلوقات، ما سوى قلب العاصي المعرض، ﴿نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] يسبّحون بالأمر والقهر، والعاصون المعرضون عن

الله نورهم خلف ظهورهم وعن شمائلهم في كل أمر، فالحق ظاهرٌ فيهم، وباهر نوره عليهم، ولكن لا يعقلون، فهم يسبحون الله قهراً بكل جزء منهم، سوى القلب الغافل من جهة وجهة العاصي ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

(٣) أي الثاني مِنْ وجهيه أي المخلوق، الصورة الظاهرة بأبدع تصوير، وأحسن تعيين وتقدير، وهي في وجودها وحدودها وقيودها شبه خيال في التعبير؛ لأنها إنما قامت بغيرها، وتعيّنت به في صورتها وتصويرها وتقديرها، صنع الله اللطيف الخبير.

(٤) أي هو وإنْ كان شبه خيال، فهو ظلال، ظهر فيه شعاع الجلال والجمال فإنه ظهر بالنور الظاهر، وبطن في السر الباهر، من حضرة الكمال، تراه فيه به بكل مجال في جميع أطواره الحسية والمعنوية، والمثالية والخيالية.

* * *

إنَّ الكَلامَ بِهِ المَعَانِي تَنْجَلي ... وَهوَ الهَواءُ لِمَقْطَعٍ وَفِصالِ (١)

والواحِدُ الفَرْدُ الَّذِي ظَهَرَتْ بِهِ ... الأَعْدادُ والأَضْدادُ في الإِجْمالِ (٢)

جَليَتْ عَلَيْهِ مَلابِسٌ مِنْ صُورَةٍ ... نُسِجَتْ بِأَحْسَنِ مَنْظَرٍ وَجَلَالِ (٣)

بِعَجائِبَ وغَرائِبٍ وَصَنائِعٍ ... بِبَدَائِعٍ في أَمْثُلِ الأَمْثالِ (٤)

بِتَوافُقٍ وَتَحالُفٍ وَتَكَثُّرٍ ... بِتَوَحُّدٍ في سَائِرِ الأَحْوالِ (٥)

(١) أي انظر واعتبر تكوين الكلام الذي به تنجلي المعاني، وتُتلى الآيات والمثاني، وهو هواء يخرج من الجوف فيعتمد على مقطع من مقاطيع الفم واللسان، ويكون له فصال، فيحدث به أشكال الحروف في كل بيان، ويظهر فيها المعنى المعروف، على الوجه المألوف في كل شأن.

(٢) أي واعتبر في العدد بالواحد الفرد الذي ليس بعدد، وبه ظهرت جميع الأعداد، فإنها للاثنين ظهور الواحد مرتين، والثلاثة ظهوره ثلاث مرات، فظهرت بذلك الكثرة في عين الوحدة، والزوجية في عين الوترية، والتفصيل في عين الإجمال.

(٣) أي جليتْ على الوجود الخلقي، الذي هو شبيه الخيال، ملابس من نور الجلال والجمال بصورة نُسجت بمنوال التقدير والتصوير في أحسنِ منظرٍ وجمالٍ وأظهرِ مظهرٍ وجلالٍ.

(٤، ٥) أي إنّ هذا الوجود الخلقي، الظاهر بالمعنى الحقي، ترى فيه العجائب التي تُبهر العقول، والغرائب التي تحيّر منها في معناها الفحول، والصنائع المحكمة في الفروع بالأصول، والبدائع التي لم يسبق بها منقول، ولا يعقلها معقول، في أجلّ الأحوال وأمثل الأمثال في كل قبول، ﴿مَا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ - ٤]. فتراه في توافق في معنى التخالف، وتكثُّرٍ في عين التوحّدِ، واستمرار في تحيّر، مع انفصال في أعراضه، وتحوُّل في أحواله، ليظهر في ذلك التصريف، بسرِّ المعنى الباهر الشريف.

* * *

وَبِهِ العُقولُ صَفَتْ فَأَشْرَقَ وَجْهُها	بِسَنَا القَبُولِ بِعَكْسِ كُلِّ ظِلالِ (١)
إِنَّ الحَقائِـقَ فـي الرَّقائِـقِ تَنْجَلـي	بظُهورِ مَعْنى الحَقِّ في اسْتِقْبالِ (٢)
وَظُهـورُ نـورُ الحـقِّ أَظْهـرَ كَوْنَها	فَبِهِ انْجَلتْ وَعَلَتْ بِكُلِّ مَعالِ (٣)

(١) أي مِنْ أعظم الوجود الخَلْقي، أنوار العقول، التي صفت فأشرق وجهها لقبول كل مقبول، فظهر فيها سناء الجلال، بعكس كل ظلال، من أنوار الحق في كل تَعَلٍّ ونزول.

(٢) أي إنّ الحقائق العلمية، تنجلي في الرقائق الحكمية، على الصورة الوهمية، بظهور معنى الحق للعقول، عند استقبال القلوب في كل وحي منقول، وفهم مقبول

(٣) أي بظهور نور الحق وجود وجوده، ظهر كَوْنُ كل كونٍ وبيّناته في ذاته، وتبيّن وتميّز في تعيُّناته، وعلا بمعانٍ فائضة عليه من ذي الجود في جميع آياته، في جميع المباني والمعاني والوجود، بحسب ما أعطى مِنَ الحدود والقيود، في جميع حالاته.

***

فَهُـوَ المُحيـطُ بِـكُلِّ شَيْءٍ جُوْدُهُ   وَوجُودُهُ وَخِصالُ كُلِّ خِصالِ (١)

فَلَـهُ الكَمـالُ جَميعـهُ وَلِخلقِـهِ   إِمْـدادُهُ بالجُـودِ والإِكْـمالِ (٢)

أَجْـلَى البَصائِـرَ فانجلـتْ آياتهُ   لِلْعَقْلِ في فِكْرٍ وَفي اسْتِدْلالِ (٣)

(١، ٢) أي إنّ الحق هو المحيط بكل حقيقة، ولا حقيقة إلا لوجوده، ووجود كل شيء وجوده، وخصال كل خصلة منه، وقيوده إنما وُجدت بإشراق سعوده، فأظهر نوره ذرات كل شيء وصفاته، وأبان إعراضه وحدوده في جميع تعيّناته، فله الكمال جميعه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بصيغة (الحصر) وبيده القوّة جميعاً وهو بكل شيء محيط ﴿يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] وما لخلقه إمدادات، على حسب الإرادات والاستعدادات، بالجود في الوجود وغيره من النسب، بكل شرط وسبب، ولهم الإمداد بالكمال، بكل ما فاض منه من كل عطاء ونوال، من غير تحقق بكمال، فبذلك لا يزال في كل حال، سريع التحوّل والزوال، في زيادة ونقص وانتقال.

(٣) قد تقدّم أنّ العقول مِنْ أعظم أطوار الوجود، ومواهب ذي الجود، فإنه سبحانه أجْلَى بصيرة العقل لتجولَ في عالم الحس والقدر، بقوة الاستدلال والفكر، فتتجلّى له آيات الحق بالتحقيق، وتبيْنُ له بكل بيان، في كل جمع وتفريق، فتحصل بكل تعريف في

كل طريق ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨] ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بربك أنه عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ولا يدركها إلا مَنْ ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

* * *

فَتَظَاهَرَتْ أَسْرَارُها وَتَباهَرَتْ ... أَنْوارُها بِجَواهِرٍ وَلآلِي (١)

وَتَنَوَّعَتْ أَشْجَارُها فَزَكَتْ بِها ... أَثْمارُها بِالفَضْلِ والإِفْضالِ (٢)

فَبِه كَساها حُلَّةً مِنْ جُودِهِ ... فَتَأَهَّلَتْ لِلْفَيْضِ والإِنْزالِ (٣)

وَبِهِ تَراهُ وَهَلْ تَراهُ بَصِيْرَةٌ ... ظَهَرَتْ به فـي كُلِّ بَالٍ بالِ (٤)

(١، ٢) أي فتظاهر أسرار العقول، من حيث هي قابلة ومفكّرة في كل محسوس ومنقول، وتباهرت أنوارها بتركيب القضايا في البراهين الساطعة في آفاق القبول، فرجعت مِنَ الغوص في بحر الكون بجواهر مِنَ المعاني ولآلئ من العلوم يبلغ بها العبد كل سُوْل، وينال بها كل مأمول، ثم بعد ذلك تفرّعت أنوارها، وتنوّعت أشجارها، وزكت بها أثمارها، باتّباع الرسول، بالوهب الرحماني، والفضل الإحساني، والإفضال العرفاني، من ذي المنِّ الطول.

(٣، ٤) أي إنّ الحق سبحانه كسا العقول حلّة مِنْ نوره ووجوده فتأهّلت لقبول الفيض الأقدس، والسر الأنفس، بالإطلاق الكلّي في جميع الكون وحدوده وقيوده ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] فصعدت في سلَّم الإسلام وحق الإيمان، وصدقِ الإحسان فتنزّلت إليها السكينة، ونزلَتْ عليها المعرفة بالتحقيق والإيقان، فبذلك النور الذي كساها به سبحانه تراه في كل شيء رؤية إثبات وتنزيه، لا إحاطة

وتشبيه، وكيف تراه بصيرةٌ ظهرتْ بنوره في كل قلب محدود، وبال بالٍ، أي فانٍ، ليس له في حق الوجود وجود، ولكن ترى المعنى الإلهي بالعين، وترى الصفات الصفية، بالأنوار الوهبية، من غير أينية ولا كيفية.

* * *

لَكِنْ يَكونُ وجُودُها في خِلْقَةِ الإنْـ ... ـسانِ بَعْدَ حَواسه وَخيالِ (١)

وَتَمَكَّنَتْ بالطَّبْعِ مِنْهُ فَإِنَّها ... مِنْها تُشَابُ بِظُلْمَةٍ وَخَيالِ (٢)

فإذا أرادَ الله تَطْهِيراً لَهَا ... مِنْها وَتَقْديساً لِكُلِّ وِصالِ (٣)

سَلَكَتْ سَبِيلَ الاجْتهادِ وَصابَرَتْ ... وَصْلَ الجِهادِ وَفَصْلَ كُلِّ فِصَالِ (٤)

(١، ٢) أي لكن العقول وإنْ كانت نوراً، وكساه الله النور بالوحي الإلهي، فهو نور على نور، إلا أنها لكون وجودها في خلقة الإنسان، الذي هو روح عالم الإمكان، والمظهر الجامع لجميع المعاني والأعيان، إنما ظهرتْ بعد الحواس الخمس التي لا قدرة لها إلا على عالم المقدار والأشكال، وبعد الوهْمِ يتلوّن بالوهْمِ والخيال، وقد تمكّنت هذه الأشياء بالجبلّة مِنْ خِلْقةِ الإنسان، فغلبت عليه وساعدتها الطبائع الجسمية، كالشهوة والبهيمية، فجاءت العقول غريبة فلا تنازعها في إقبالها، وتعاندها في استدلالها، بما صنعت العقول وانقادت للحس الكاذب والوهْمِ والخيال، فتشاءب نورها بالظلمة الأكوانية، والخيال الذي به تعطيل قواها النورانية؛ لأنها صارت مغمورة بالأمور النفسانية والعوارض الشهوانية، والدسائس الشيطانية.

(٣، ٤) أي إذا أراد الله تطهير ذوات العقول، وتنوير بصائرها، لينطبع فيها من الأنوار كل قبول، وتقديس سرائرها لتكون أهلاً لكل وصال ووصول، سلكتْ في طريق الحق سبيل الاجتهاد، وبادرتْ بقطع كل عادة ومألوف مِنْ لوازم الطبع والجِبلّة، وأحرقت بنار الاجتهاد كل ما رانَ على البصيرة، وغان على السريرة مِنْ

ظلمات النفوس، ودخان الشهوات، وخيالات الحواس، وصبرتْ على كل فطام مِنْ تلك العادات، ومِنْ كل فصال مِنْ تلك الرضعات، فلا بد مع بذلك الاجتهاد من وصل الله، ومع مواصلة الجهاد مِنْ فتح الله ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

***

وَاسْتَقْبَلَتْ مِرْآتُها مِرْآةَ مَنْ	حَصَلَ القَبولُ لَهُ مِنَ الإِقْبالِ (١)
كَذَوِي العُلومِ العَامِلِينَ وَكَالشُّـ	ـيُوخِ العَارِفِينَ وَصَالِحِي الأَبْدَالِ (٢)
أَوْ غَيْرِهِم مِمَّنْ تَلَقَّى وَصْلَهُم	بِتَعلُّقٍ فَتَخلُّقٍ فَنَوالِ (٣)

(١، ٢) أي لا يتم لها كمال الاستعداد، ببذل الاجتهاد، ووصل الجهاد، في طريق الرشاد، إلا إذا استقبلت مرآتها الصقيلة، مرآة مَنْ حصل القبول والفضيلة، وصارت مرآته نور الله تتنزّل عليها الأنوار الإحسانية، والأسرار العرفانية، والإمدادات الرحمانية، وذلك ثمرةُ السلوك بصالح الأعمال، مِنْ صحيح الإقبال، في طريق الإيصال، وهم أهل العلوم العاملون بها، والشيوخ العارفون بالله معرفة حملتهم على القرب منه والحب له في كل حال، بحسبها، وصالحو الأبدال الذين قاموا بحقوق الله وحقوق العباد، على حسب ما قَسَمَ اللهُ لهم في كل حاضر وباد، فنفعهم للخلق شامل بكل باطن وظاهر، وكلما مات رجل منهم أبدله الله بآخر مكانه فصحبةُ هؤلاء إكسير لكل عبد كسير ينقلب به الضمير، في كيمياء السعادة ذهباً خالصاً ونوراً صافياً مِنْ كل شوب وتكدير، بصيراً بكل معنى كبير، في كل اعتبار وتعبير.

(٣) أي أو غير الكاملين، مِنَ الوسائط الصادقين، والروابط اللاحقين، الذين حملوا الأمانات بحالها، وأدّوها إلى أهلها، وتقدم أن المبلّغ قد يكون أوعى مِنَ السامع،

فرب حامل فقه غير فقيه، وأوّلُ السلوك تعلّق بالحق مع توسّل، ثم تخلّق مع توصّل، ثم نوال بكل قرب، ووصال وتحمل به.

***

فِي تَوْبَةٍ فَإِرَادَةٍ فتَعَلُّمِ	فَتَعَمُّلٍ فَتَوَصُّلٍ لِوِصَالِ (١)
بِالْعِلْمِ والأَعْمالِ أَوْ بِالذِّكْرِ والإِقْبَـ	الِ أَوْ بِالجِدِّ والتَّرْحالِ (٢)
بِعِبَادَةٍ وَعُبُودَةٍ بِعقِيدَةٍ	مَعْقُودَةٍ مِنْ خالِصِ الإِرْسالِ (٣)
مُتَقَلِّداً لِلصَّالِحاتِ مُقَلِّداً	لِلْحَقِّ غَيْرَ مُقَيَّدٍ في حَالِ (٤)

(١، ٢) أي يكون التعلّق وما بعده أولاً بالتوبة النصوح والانقطاع إلى الله، والإرداة التي لا يبقى معها سوى وجه الله، والتعلم لعلم السير والسفر إلى الله، والحذر من كيد النفوس ودسائس الشيطان القاطعة عن الله، والعمل بذلك بتكلّف العبادات، حتى تصير عادة محبوبة بحب الله، فيتوصل بذلك إلى كمال العبودية لله ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات: ٤٠] ويكون ذلك بالعلم الذي يقرِّب إلى الله، والأعمال الخالصة لوجه الله، وبدوام الذكر لله، والمراقبة والإقبال على الله، أو بالجذبة والترحال لقطع منازل الطريق إلى الله تعالى.

(٣، ٤) أي يكون التعلّق وما بعده بما تقدّم في عبادة من صالح الأعمال، مع عبودية في غاية الاستجابة ونهاية الامتثال، على عبودةٍ بأخلص إخلاص، مِنْ شوائب الحظوظ في الدنيا والآخرة بأصدق إقبال، وذلك كلّه مؤسَّسٌ بعقيدة صافية من كل تشبيه وتعطيل، وفكر ووهْمٍ وعقل وتخييل، وإنما هو وحي يوحى معقود من خالص ما جاء به في الإنباء والإرسال، ومتقلّداً للصالحات في كل ذِكْرٍ وشكرٍ بأمرٍ ونهيٍ مقلّداً للحق في جميع الخصال، غير مقيّد في حال من الأحوال، صاعداً إلى الله بما نزل

من عنده، معتصماً بحبل الله الذي وصله برشده ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

* * *

فَمِنَ الحَضِيضِ عُروجُه فَوْقَ العُلا ... وَخُروجُـه مِنْ ظُلْمَةِ الإِضْلالِ (١)

وَيَـرى الأُمُـورَ جَمِيعَها باللـه والـ ... إفضَـالِ بِالطَّاعَاتِ والأَعْمالِ (٢)

وَالخَلْـقُ فـي جَهْلٍ وَعَجْـزٍ مَا لَهم ... في سـائِرِ الأَكْوانِ مِنْ مِثْقالِ (٣)

(١) أي عن العبد المريد يصعد من حضيض أسفل السافلين، ويعرج إلى الله بالنور المبين، في منازل الدين، ومناهل اليقين، على سلّم الإسلام والإيمان، في يفاع المراقبة والإحسان، إلى فوق كل علا معلوم، وحال محسوس ومعقول وموهوم، وبذلك الخروج والعروج، يخرجه الله الحق المبين، بنور اليقين، من ظلمات الجهل والتكوين، التي يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءها لم يجدها شيئاً ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

(٢، ٣) إي إذا خرج العبد من ظلمات التكوين، بعلم اليقين، وعرج إلى الله في عين اليقين وحق اليقين، عَرَفَ الحق بالحق، وشهِدَ الخلْقَ في جهلهم وعجزهم الذاتي والصفاتي، وإنما ظهر الحق فيهم بنوره، وكساهم العلوم والصفات بظهوره، فهم باقون في جهلهم الحقيقي، إلا مَنْ هداه الله في مَنْ هداه، وهم متحققون بعجزهم الخليقي إلا من أذِنَ الله له وأتاه، فما لهم في الأكوان الكائنة فَهْمٌ، وفي الآفاق مِنْ مثقال ذرة، ولا طرفة ولا خطرة، ولا شعيرة ولا شعرة، بل ذلك كلّه لله المنفرد بكل الأفعال، المتوحِّد بالكمال ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بربك أنه عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] فيشهد العبد في كل حال المنّة لله بالإيجاد والإمداد، والإفضال عليه بالطاعات والأعمال، وأنها نعمة عليه لا يُقدِّر قدرها، ولا يبلغ شكرها.

* * *

وَيَرى الوجُودَ جَمِيعَهُ والجُودَ مِنْ ... فَيْـضِ الكَرِيمِ بِوابِلِ الإِفْضالِ (١)

فَيَقِـرُّ فِي إيمانِـه ويفـرُّ فِي الإِحـ ... ـسانِ للْمُعْطي لِكُلِّ سُؤالِ (٢)

وَيُقيِّـدُ الأهْـوا بِتَقْـوى مُخْلِـصٍ ... والطَّبْعَ يَقْهَرُهُ بِحُكْمِ العالِي (٣)

فَبِذاكَ يَخْـرُجُ عَنْ هَـواهُ وَطَبْعِهِ ... بالإِمْتِثـالِ لِشَرْعـةِ المُتعالي (٤)

(١، ٢) أي إذا عَرَفَ العبدُ الحق رأى جميع الوجود في البطون والظهور، وجميع التكوين الفائض عن الجود بكل إيجاد وإمدادات ونور، إنما هو من فيض وابل الإفضال، ومن سجم هواطل الإنزال، من الكريم الوهاب بلا أكدار ولا زوال، فيقرُّ العبد أي يستقر في حق الإيمان والسكينة، وتحصل له الجمعية المبينة، ويفرُّ إلى الله في الإحسان في كل حال، فإنه المعطي لكل سؤال في جميع الشأن والأقوال والأفعال.

(٣، ٤) أي إذا عَرَفَ العبدُ ربَّه، ورأى حقيقة جوده بوجوده وإمداده وقرْبه تَبرّأَ من كل دعوى، ورفض دواعي الهوى، وقيّدها بكل تقوى، على طريق العباد الخواص، في تحقيق التقوى وتخليص الإخلاص، مِنْ شوب كل نسبة ودعوة واختصاص، فحينئذٍ يقهر كل طبع، بحكم العلي المتعالي في كل إعطاء أو منع، ويخرج عن هواه وطبعه في كل عقل وفعل وكل حسٍّ ونظر وسمع، وينطبع بكل إذعان وامتثال، للشرع المتعالي، بعلوِّ مالِكِ الضر والنفع.

* * *

فَيَصِـيرُ قَصْداً واحِـداً مَقْصُودُه ... وَيَصِـيرُ عَبْداً خالِصَ الأحْوالِ (١)

بِأَدَائِـه المَفْـروضِ ثُـمَّ بِقُرْبِـه ... فِي كَثْرَةِ الطَّاعاتِ والأَنْفالِ (٢)

وَبِصِدْقِـهِ فِي قَصْـدِهِ وَدَوامِـه ... فِي ذِكْـرِه مُسْتَهْتَراً مُتَـوالِ (٣)

(١ ٢) أي فيصير هذا العبد بصدق العبودية، والتحقق بالإخلاص في سائر الأحوال الوجودية، عبداً خالصاً لله، خاصّاً به في كل ما والاه وأولاه، وذلك بأدائه

المفروضات على الكمال، والاجتهاد في التقرّب إلى الله بكثرة الطاعات والأنفال، من النوافل وكثرة الاستغفار والتضرع والابتهال، فبذلك صح قربه من ربه، واتّضح عليه شاهد تقريبه له وحبه، وخلّصَهُ من كل ما سواه، لإخلاصه في تقواه.

(٣) أي مِنْ أقرب الطرق إلى الله، والقرب منه حق التقرّب إليه بتقواه، وصدق القصد إلى الله ومع الله، في كل أمر ودوام الذكر والاستهتار به استهتاراً متوالياً على كل حال، في جميع الساعات والأعمال، حتى يغلب عليه المذكور، وتشرق عليه لوامع النور في كل طور في جميع الأمور.

* * *

لَمـا تَوَلّـى الحَـقّ فـي طاعاتِـه	بـالحَـقِّ كـانَ لَه أجَـلُّ مُوالِي (١)
فَبِـذاك أَخْرَجَـهُ إلـى نـورِ الْهُـدى	مِـنْ ظُلْمَةِ الدُّنيـا وَكُلِّ ضلالِ (٢)
وَهُنـاكَ يَفنـى عَنْ شُـهودِ شُـؤونِه	ويَصِيرُ مِثْلَ الرَّسْمِ في اضمِحْلالِ (٣)
وَيَغيـبُ عَنْـه وجُـودهُ فـي جُـودِه	وَيَرى بِمَعْنـى الحَقِّ كُلَّ مَقالِ (٤)

(١، ٢) أي إنّ هذا العبد لمّا كَتَبَ الله له السعادة، وأهله للحسنى وزيادة، تولى الله في الإقبال عليه بطاعته، واستقباله قبلة جوده في جميع عناياته، فاتخذه الله ولياً أي متولياً لأنواره، مخزناً لأسراره؛ وذلك لأنه صدق مع الله بأفضل الصدق وحقق القصد بالحق، فكان الله له ولياً أي متوالياً فهو له أجلّ موالٍ فهو ولي الله بمعنى أنّ الله تولّاه ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فبذلك التولي إلى الله، وتولي الله له إيّاه، أخرجه الله من ظلمات الدنيا والتكوين، إلى نور الهدى واليقين، وعمل المتقين، وأهل التمكين، فهو بنوره يمشي في الدين، على الحق المبين، خارجاً عن كل ضلال، وشك وإشكال ومَيْنٍ، في كل حالٍ وكل حين.

(٣، ٤) أي إنّ العبد بذلك التجريد من العوائد والتقييد، والتحقيق بالتوحيد، والتحقق في مناهل التفريد، يَفْني في الله مطلوبه وشهوده، ومحبوبه عن جميع شؤونه ووجوده، وتتلاشى جميع خواطره وشكوكه وظنونه، ويصير جميع رسمه في اضمحلال عن النظر إليه في جميع فنونه، فيغيب عنه وجوده في وجود الحق بالحق، ويرى بمعنى الحق كل حق في كل حال، وكل صدق في كل مقال، فلا يشهد إلا الحق في جميع مناهج الخلق وليس في الحق من ضلال، ولا شك ولا جدال.

***

فَبِـه يَـرَى وَبِـه يَقـولُ وَيَحْتَـذِي	وَبِـه يُحـاوِلُ سَـائِرَ الأَحْـوالِ(١)
وَيصيـرُ مَوجُـوداً بِجُـودِ الحَقِّ في	كُلِّ الوجُودِ ووَصلِ كُلِّ وِصالِ(٢)
وَيَعـودُ مُنْعَكِساً بِـه نُـورُ الهُـدَى	بَيْـنَ الوَرَى لِلْحَـقِّ مِنْه مَجالِي(٣)
فَتَـراه خَلْقـاً وَهُـوَ حَـقٌّ جَامِـعُ	لِمجامِـعِ الإِفْضـالِ والإِنْـزالِ(٤)

(١، ٢) أي إنّ هذا العبد الموفّق إذا تحقّق مع الله بقربه، وفيه بحبّه، وتلاشى وجوده في جوده، صار أمره كلّه لله وبالله، وصار الله سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فلا يسمع إلا بالله، ولا يبصر إلا في الله، ولا يطلب إلا مِنَ الله، ولا يقول إلا بالله، ولا يحاول جميع ما يفعله من الأفعال أو يتحوّل فيه مِنَ الأحوال إلا بحول الله وقوّته، ولطفه وتوفيقه وقدرته، في جميع الأعمال، ويصير موجوداً بالله في جميع الشهود، ووجوده الحق ظاهر عليه في جميع الوجود، وإليه يرجع كل نوال مِنَ الله بكل جود، ووصل كل وصال مِنَ الله عند كل موجود، فهو مِنَ الله وإلى الله وعلى الله في الانطلاقات والقيود، من غير حلول ولا اتحاد ولا شيء مما يقول أهل الجهل والجحود.

(٣، ٤) أي إنّ هذا العبد إذا صار فانياً في الله، وعاد باقياً بالله، لا يحجبه الخلْقُ، ولا يدهشه الحق عن الخلق، صار كالقمر المنير يتلقى أنوار الشمس وينعكس على العالم،

فتشرق به أنوار الحق في الخلق، فله فيهم منهم مجالي، على أشرف التقديس والتنزيه في جميع المعالي، فتراه أنشأه خلقاً بَشَراً سَوِيّاً وهو حق، قد غمره نوره الحق، وصارت بشريته مطوية في نورانية خصوصيته، كما انغمر البدر بنور الشمس عن ظلمانيته، فهو عبد الله الجامع لجميع مظاهر الأسماء والصفات يعبد الله بجميع الأطوار في جميع الهيئات، مظهراً لمجامع الجمعيات، في العقليات والسمعيات، يتواتر إليه الإفضال بجميع المطالب والهبات، ويتوالى عليه الإنزال بكل خير في جميع التنزّلات.

***

وَالحَـقُّ يُذْكَرُ حَيْـثُ يُذْكَرُ نَعْتُهُ ... وَلَـهُ بِذِكْرِ الحَقِّ ذِكْـرٌ عَالِ (١)

وَمتَـى بَدا أَبَـداً بَدا نُـورُ الهُدَى ... فَيَراه مُعْتَقِـدُوه كُلَّ جَلالِي (٢)

(١، ٢) أي إنّ هذا العبد الملحوظ بنور الله، المحفوظ بعين عناية الله، حيث صار عبداً خالصاً خاصاً بالله وله، إذا رُئِي ذُكر الله وإذا نُعِتَ نُعِتَ الله، وله بذكر الله ذكرٌ عالٍ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فلا يُذْكَر الله إلا ويُذْكَر أهل ذِكْرِهِ، ولا يُوْصَف جُودُه إلا ويَظْهر أهل شُكْرِه، ومتى بدا هذا العبد أي أبداه الله بالوجود، وأظهرَ به الجود، أشرق به نورُ الهدى في الوجود، فيراهُ معتقدوهُ كلَّ جلالي من جلالِ الله، وطريق كل كمال إلى القرب مِنَ الله، والحبُّ في الله وإنْ أخفاه فهو مصونٌ في حفظِ الله، مضنونٌ به في عيونِ أهلِ الجهلِ والغِرَّةِ بالله، فيرونه مذمماً، ولا يعرفونه محمداً، والحكم لله ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

***

وَيَفُـوزُ مَـنْ وَالاه في مَـوْلاه مِنْ ... أَحْبـابِه بِنِهـايَةِ الآمـالِ (١)

وَيكون كالمُشْكاةِ وَالمِصْباحِ والزَّ ... يْتِ الَّـذِي بِزُجاجَة مُتَلالِي (٢)

رَقَّ الزُّجـاجُ وَرَقَّ مـا في جَوْفِه ... فَتَشابَها فَتَشـاكَلا في الحالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي إنّ هذا العبد كل مَنْ والاه إلى مولاه وأحبّه لله، واتّبع سبيله في الله نال نهاية الآمال من الله، فإذا جعل قبلته إلى الله، وأقبل بكليته على الله قَبِلَهُ وقابله بالقبول إنْ تقرّب إليه شبراً تقرّب إليه الله ذراعاً، وإنْ تقرّب إليه ذراعاً تقرّب منه باعاً، وعلى قدْرِ تولّيه لهذا العبد يتولاه الله؛ لأنّ هذا العبد مظهر أنوار الله مثل نور الله في ظهوريته وتجليه عليه: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] فطوبى لمن طاب به فؤاده، وتمكن فيه وداده، وصح معه جهاده، فلقد صحَّ رشاده، وانفتح به للحق اجتهاده ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فإذا تأمّلت عبدية هذا العبد، وجدتها تلاشت في عنديته، فصار كما قال الشاعر:

رَقَ الزُّجاجُ وَرَقَتِ الخَمْرُ ... فَتَشابَها فَتَشاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّما خَمْرٌ وَلا قَدَحُ ... وكَأَنَّما قَدَحٌ وَلا خَمرُ

وإيّاك يا مَنْ قلبه عليل، وفهمه كليل، أنْ تظن في أهل الرشاد والإرشاد، ظنون أهل الإلحاد، والحلول والاتحاد، وقد مرّ لك التمثيل بالقمر وبتلقّيه نور الشمس من غير اتصال ولا اتحاد.

* * *

وَالحَمْدُ لله الحميدُ بِحَمدِه ... مِنْ فَضْلِه نِلْنا أجَلَّ مَنالِ (١)
وَبِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ اتَّصَلَتْ لنا ... أسْنى الصِّلاتِ بِأَكْمَلِ الأَوْصالِ (٢)
وَبِهِ بَلغْنا كُلَّ خَيْرٍ فَائِضٍ ... بِالجودِ في التَّفْصيلِ والإجْمالِ (٣)
وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ اتَّضَحَتْ لَنا ... سُبُلُ الرَّشادِ وَنَهْجُ كُلِّ كَمالِ (٤)
أَنْوارُ تَحْقيقٍ بِكُلِّ حَقيقَةٍ ... قَدْ طابَقَتْ لِلْحَقِّ في الإِكْمالِ (٥)

(١، ٢) أي إنّ الله مَنَّ علينا أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببعثة رسوله فأنقذنا به من الضلال، وأوضح به لنا طرق الحق والكمال، ونلنا به أجلّ منال في جميع الصفات والأحوال، وجميع المطالب والخصال، وبعبده ورسوله اتّصلت بنا ووصلت إلينا منه أسنى الصلات من العلوم والأعمال، والمقامات والأذواق في المواجيد والأحوال، بأكمل الأوصال، في كل قرب ووصال.

(٣، ٤) أي إنّا بلغنا برحمة الله إيانا، وبمنّته برسوله المختار، وببعثته بالأنوار والأسرار، كل خير ونور وفوز وهدى وكل جود فائض في الغيث المدرار على المقربين والأبرار، في التفصيل والإجمال في جميع الأعيان والآثار؛ إذ لا تسعه السطور، ولا يحصيه العلم ولا الزبور، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] وذلك بصحبة الأخيار، من آله وصحبه وأتباعه الذين هم الشموس والأقمار، فاتضح لنا بهم سبل الرشاد في كل إقبال، وانفتح لنا باب القبول في نهج كل كمال.

(٥) أي إنّ هذه الأنوار التي وصلت إلينا مِنْ رسوله وتواصلت علينا بآله وصحبه وأتباعه وحزبه، فنلنا بها كل مَنال، من كل قُربة ومحبّة، وكل خير ومنّة، ووصل وهبة، هي أنوار تحقيق للحق في كل حقيقة، يشهد بها الحس والنظر والعقل في كل رقيقة، ويقوم البرهان علينا والذوق والوجدان مِن كل طريقة، قد طابقت للحق في كل حال، بشواهد الكمال والإكمال، فلا يظن مَنْ لا سلوك له في هذا المجال أنّ في الدين في نفسه قصور أو تقصير، ويدخل عليه نقص بذلك أو فيه اختلاف ومخالفة في قليل أو كثير، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فالخلاف إنما هو في الفهم لا في العلم، فليس خلافاً في الحقيقة، وإنما هي مفاهيم في المعاني الدقيقة، في أشياء تابعة في الشريعة والطريقة، فكأنه لا خلاف

في الحقيقة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تركتكم على المحجّة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

***

بِرسالةٍ وَنُبُوّةٍ وَوِلايةٍ ... بِشَرِيعةٍ وَطَرِيقَةِ الإِيصالِ (١)

فاضَتْ عَلَيْنا مِنْ بِحارِ مُحَمَّدٍ ... بِمَعارِف وَلَطائِفٍ وَعَوالِي (٢)

(١، ٢) أي ظهرت الأنوار، واتّضح سبيل الهدى، وانفتح نهج الكمال واستنار، برسالة يخص الله بها مَنْ يشاء من الأنبياء لتنزيل الأحكام والاحتكام، بما اختاره العزيز العلام، في شرعه في منازل الإيمان والإسلام، ومناهل الإحسان والاستسلام، ونبوة تظهر بها الأنوار، وتبهر بها الأسرار، على كل منار، وولاية تولّى الله بها مَنْ تولّاه مِن الأبرار، ووالى بها مِن الأخيار، فكل رسول جمع الرسالة والنبوة والولاية، وكل نبي له النبوة والولاية، وهي ولاية أخص من ولاية الأولياء المجردة عن النبوة، لأنها باطن النبوة والرسالة، وولاية الأولياء خاصة يخص الله بها المقربين من عباده، فهم أخص من ولايةِ عموم المؤمنين، فإنّ لكل مؤمن مِنَ الله الولاية العامة ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣] وبهذه الرسالة والنبوة والولاية، ظهرتْ الشريعة بالحق والتحقيق، كما تقدّم في التقليد بالأحكام، لكل امتثال واحتكام، لكنها تعمّ العوام والطغام من أهل الإسلام، فلا بد من طريق خاص للخواص، يتحقّق فيها المتحقق بالصدق وتحقيق الإخلاص، وهي طريق أهل الإخلاص، فهي السير بالشريعة التي أنزلها الله، وتنزيه القلب عمّا سواه، والتعويل في كل حال عليه، مع تهذيب الأخلاق والفضائل، مِنْ جميع الشوائب والرذائل.

وهي طريق الإيصال إلى القرب مِنَ الله، والحب في الله، والانقطاع إليه،

والذهاب فيه فيظهر بها على المخلص أنوار الحقيقة، والمعرفة الحقّيَة في كلّ رقيقة ودقيقة، فيفيضُ بذلك على العبد المخلص السالك مِنْ بحار سيدنا محمد وعلومه الأنوار، وتتنزّل المعارف واللطائف والأسرار، ومعاني عوالي لا تُحِيطُ بها الأفكار، ولا تسعها العبارة، فمَنْ عبّر عنها وقع في الشطح ووقع عليه الإنكار، والله يتولّى السرائر بحفظه في كل مدار.

❊ ❊ ❊

إِرْثُ الشُّيُوخِ العارِفِينَ أُولِي العُلو	**مِ العـامِلِيـنَ مَطـالِعُ الآمـالِ (١)**
كَالوَالِدِ الشَّـيْخِ الإِمـامِ وَجَدِّي الْـ	**حَبْرِ الْهُمامِ وَخَـالي المِفْضالِ (٢)**
فَلَقَدْ حَظِيْـتُ بِقُرْبِهِـم وَبَلَغْتُ آمـ	**الي بِهِم وَبِهِم سَبَقْتُ رِجالي (٣)**

(١، ٢، ٣) أي إن العلماء ورثة الأنبياء في الميراث الأعم والأخص على حسب القسمة «**إنما أنا قاسم والله معطٍ**»، فقد فاضت علينا الأنوار، واستفاضت الأسرار، في الشريعة والطريقة بالمعارف واللطائف في الحقيقة، بواسطة شيوخنا العارفين العاملين العالمين، المتحققين بحقيقة الدين، وصفات المتقين، في كل علم ومعرفة ويقين، كشيخنا ووالدنا السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه، والإمام محمد بن عبد الرحمن باعلوي.

فأما والدي فإنني بحمد الله قد لزمتُ مجالسته ولازمته في جميع خلواته وجلواته نحواً من عشر سنين، وأخذتُ عنه في جميع علوم الدين، ومقدّماتها ما لم أحصه بالعدِّ ولا أحصره بالتعيين، وله مؤلفات كثيرة، ومجامع شهيرة، تشهد له بذلك في كل تبيين، وخصني بخصائص في الفضل المبين، وشرّفني بالإلباس والتلقين، وأجازني إجازة خاصة مكتوبة بخطه، وعامة في جميع العلوم وما تلقّاه عن مشايخه العاملين، الأئمة العارفين، ولم يزل عليَّ وبي براً إلى أنْ توفي في شعبان سنة عشر ومئة وألف، وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، واستخلفني في حياته للتدريس والفتوى ونشر العلوم الدينية، وقد كان إمام وقته، وفضله معلوم، جامعاً لجميع المعارف والعلوم، في الشريعة

والطريقة والحقيقة ورسوم القوم، مع محبّته الخمول ومحو الرسوم، وصدق العبودية للحي القيوم، وستر الحقيقة في الخصوص عن العموم.

وأما جدّي، فهو جدّي لأمي الشيخ الإمام، الحبر الهمام، محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ عبد الله العيدروس، ففضله مشهور، وهو بكل علم وتحقيق وتدقيق مذكور، وإليه في حياته مرجع الخاصة والعامة في جميع الأمور، وعليه لظهوره جميع مطالب الأخيار في بلده تدور، وقد قرأتُ عليه كُتباً كثيرة، واستفدتُ منه فوائد منيرة، وخصني بالعناية والرعاية، وألبسني خرقة أهل الولاية، ولقنني الذكر في طريق الهداية، وأجازني إجازة خاصة بخطه الشريف، في جميع ما تجوز له روايته في كل تعليم وتعريف، ولازمته إلى أنْ توفي سنة اثنتي عشرة ومئة وألف.

وأما خالي فهو السيد عبد الرحمن بن محمد المذكور وهو السيد المفضال الجامع في مجامع الفضل لجميع الخصال، الذي أجمع الجميع عليه في كل حال، وأنه واحد العصر الذي تُشَدُّ إليه الرحال، ويحل كل إشكال، وقد قرأتُ عليه جملة كثيرة، مِنَ الكُتبِ الشهيرة، في جميع العلوم، وانتفعتُ به نفعاً خاصاً وعاماً في كل معلوم، وألبسني الخرقة ولقَّنني الذِّكرَ مراراً عديدة، وكانت له اليد الطولى في طريق القوم، وله مؤلفات كثيرة ومجامع تشهد بصحة المنقول وتحقيق المنظوم والمفهوم، وقد أجازني فيما تجوز له روايته وكتب لي ذلك بخطه، ولازمته إلا أن توفي سنة ثلاث عشرة ومئة وألف.

فهؤلاء الثلاثة هم أصلُ نجحي، ومفتاح فتحي، وفجر صبحي، وأنا رُبيتُ بتربيتهم، ونشأتُ في حجرهم وأنديتهم، فحظيت بقربهم، وبلغتُ آمالي بهم، في جميع المطالب، وبهم سبقتُ لداتي، ورجال ساعاتي، فجزاؤهم على الله بالرِّضا والرضوان والحسنى والزيادة بل حسنى وإحسان.

***

وَبِغَيْـرِهـم مِـنْ سَـــادَةٍ وَأَئِمَّـةٍ ... وَمَشايِخ كُبْرى وَصَلَتْ حِبالِي (١)

مِنْ سَـاكِنِي الحَرَمَينِ واليَمَنَيْنِ مَع ... شَـامٍ وَمِنْ أَهْلِي وَأَهْلِ حِلالِي (٢)

(١، ٢) أي وصلتْ إلينا الأنوار، مِنْ مواريث الأنبياء والأخيار الصالحين، والعلماء العارفين والأبرار، بواسطة آخرين غير الثلاثة من العلماء الكبار، والسادة الأطهار، فاتصلتْ حبالي بحبالهم، وتواصل وَصْلي بوصالهم وإيصالهم، فمنهم مِنْ أهلي وأهل بلدي، ومنهم مِنْ أهل الحرمين وأهل اليمنين، أي تهامة والجبال، ومنهم مِنْ أهل الشام، فقد أخذتُ عن صنوي جمال الدين محمد بن عبد الله المتقدّم ذكره، وكان مِنْ خواص المتّقين، وأهل العلم واليقين والعلماء العارفين، وله رسائل مفيدة، وأشعار فائقة فريدة، وأخذتُ كثيراً مِنْ علوم الدين في عدة سنين، عن سيدنا الإمام العارف العلمي بالإرشاد، في منهج الرشاد، السيد عبد الله بن علوي بن محمد الحداد علوي، قرأتُ قراءات كثيرة، في كتب شهيرة، واستفدتُ منه فوائد كثيرة، ولي منه عناية خاصة، ومحبّة خالصة، وألبسني الخرقة، ولقّنني الذّكر مراراً عديدة، وكتب لي الإجازة بما تجوز له روايته، وحثني على ملازمة التدريس ونشر العلم في حياته، ولم أزل أتردّد إليه، ولازمته إلى أنْ توفي سنة اثنين وثلاثين ومئة وألف.

وأما السيد أحمد بن عمر الهندوان العالم الشهير، الحقيق بتحقيق علوم الدين في جميع الشأن، فقد قرأتُ عليه مدّة، في كُتُبٍ عدّة، ولازمته واستفدتُ منه وانتفعتُ به في كل رخاء وشدة، ولبست منه الخرقة الشريفة مراراً، وأجازني إجازة خاصة وعامة لفظاً تجاه قبر العيدروس، وصَحِبْتُهُ إلى أنْ توفي سنة إحدى وعشرين ومئة وألف، ولبستُ الخرقة الشريفة من السيد الفاضل العارف بالله علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين العيدروس، وهو لبِسَ مِنْ السيد عبد الله بن علي صاحب الوهط، ولبستُ الخرقة أيضاً من السيد الصالح شيخ بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم،

وهو لبسها من أبيه عن جده، وغير هؤلاء مِنْ أهلِ جهتنا مِنْ آل باعلوي، وغيرهم ممن يكثر تعدادهم، ويعسرُ حصرهم وإيرادهم، أدام الله علينا أمدادهم، ونفعنا بهم.

وأما أهل الحرمين، فقد ألبسني الخرقة مراراً كثيرة الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي المدني بإرسال ذلك مِنَ المدينة الشريفة، وأجازني إجازة خاصة وعامة في حياة والدي، وتوفي سنة إحدى ومئة وألف. وكذلك أجازني السيد الشهير محمد بن رسول البرزنجي المدني رحمه الله إجازة عامة في عموم أوراد والدي[1]. وكذلك الشيخ حسن بن علي العجمي المكي أجازني إجازة خاصة وعامة وكَتَبَ لي بخطه، وكذلك الشيخ أحمد بن محمد النخلي أجازني إجازة عامة وخاصة، وكتب لي بخطه، وكذلك الشيخ عبد الله بن سالم البصري أجازني إجازة خاصة وعامة بخطّه وأطال في لفظه.

ثم قدّر الله لي السفر إلى الحج، واجتمعتُ بالشيخ أحمد النخلي، والشيخ عبد الله البصري، وسمعتُ منهما (حديث الأولية) أوّل ساعة اجتمعتُ بهما فيها، وما زالا مدّة إقامتي بمكة يترددان إليّ كل يوم، واستفدتُ منهما فوائد في جميع العلوم، ولم يزالا يكتبان لي بأفضل العلوم وأحسن الأعلام في كل عام، إلى أنْ تُوفّيا ببلد الله الحرام، ومِنْ جملة ما كَتَبَ به إليّ الشيخ عبد الله البصري: (إلى مجمع بحري الشريعة والحقيقة، عمدة أهل المعرفة والطريقة) وهذا بخطه لحُسْنِ ظنّه بي في كل رقيقة، وغيرهم مِنْ أهل الحرمين ممن يكثر عددهم، ويشقّ سردهم.

ومِنْ أهل الشام، السيد العلامة الجليل إبراهيم بن محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي، نقيب الأشراف بالشام، وصَلَ إليَّ مِراراً بالمدينة الشريفة، وطلب مني الإجازة فأجزته، وطلبتُ منه الإجازة فكَتَبَ لي إجازة خاصة وعامة بخطه، وتوسّط

---

(١) لعله: والده.

لي في الإجازة من الشيخ أبي المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي نفع الله بهم.

وأما اليمنيون، فقد اجتمعتُ في سفري إلى الحج بجماعة من علمائها، كالسيد يحيى بن عمر الأهدل مقبول، والسيد أبي بكر بن علي، والشيخ الزين بن محمد المزجاجي، والشيخ علاء الدين أخيه، والعلامة إبراهيم الناشري، وابن جعمان، وغيرهم وكلّهم طلب مني الإجازة فأجزتهم، وأجازوني إجازة عامة لفظاً، ولم أزل مدّة إقامتي بزبيد وهم مجتمعون عندي لاقتباس الفوائد والتماس الفرائد وبهم اتّصلتُ سلسلتي بالأسانيد اليمنية، والسلاسل العالية السَّنية، نفع الله بهم أجمعين، وجمعنا بهم في مستقر رحمته وبحبوح جنته يوم الدين.

* * *

بالعرضِ والتَّحديثِ والإسْماعِ أوْ ... بإجازَةٍ وَوِجَادَةٍ ونَوالِ (١)

فـي الفِقْهِ والأَصْلَيْنِ والتَّفْسِير مَعْ ... عِلْمِ الحَدِيثِ مَسانِد وَعَوالي (٢)

(١، ٢) أي أخذتُ عن هؤلاء المشايخ العارفين، العالمين، العاملين، ورثة سيد المرسلين، بأنواع الأخذ مِنَ العرض، وهو القراءة على الشيخ، والتحديث بقراءة الشيخ وهو أعلى من العرض، والإسماع بقراءة غيري وأنا أسمع، والإجازة الخاصة والعامة، والوجادة بخطوطهم أو بخط غيرهم منسوب إليهم، مع الإذن منهم لي في نقل ذلك عنهم، وروايته منهم، والمناولة منهم لكُتُبٍ كثيرة في مواصلات شهيرة، وذلك في جميع العلوم، من فقه الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، والأصلين أصول الدين، وأصول الفقه، والتفسير، وعلوم الحديث بأنواعها، التي تنيفُ على سبعين نوعاً، وغير ذلك من علوم الآلات، وطريق الصوفية، ولي مع ذلك اتصالات في أمالٍ وأسانيد عوالٍ، في كل علم فيما أعلم، وإلى كل كتاب فيما أظن وأفهم.

* * *

بَيْني وَبَيْنَ الحافظِينَ ثَلاثةٌ وَاثْنَيْنِ بالفُقَهاءِ كَانَ وِصالي (١)

(١) أي إنّ الله سبحانه وتعالى مَنَّ عليَّ بالاتصال بالأسانيد العالية الشهيرة، فبيني وبين الحافظِين بالجمع، كالشيخ جلال الدين السيوطي، والحافظ عثمان الديمي، والحافظ نور الدين بن علي الهيثمي، والحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، والحافظ عبد الرحمن الديبعي اليمني، ثلاثة من الوسائط.

فإنني أخذت عن والدي وعن الشيخ إبراهيم الكردي، وعن الشيخ حسن العجمي، وعن الشيخ أحمد النخلي.

وهم أخذوا عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي المدني، وعن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وعن الشيخ محمد العجل[١] اليمني.

بأخذ هؤلاء الثلاثة[٢] واتصالهم بالسماع والإجازة من الشيخ محمد بن أحمد صاحب «النهاية شرح المنهاج»، والشيخ أحمد بن محمد بن حجر المكي صاحب «التحفة»، والشمس الخطيب الشربيني، والشيخ بدر الدين الغزّي[٣]، والشيخ عبد الرحمن بن زياد اليمني صاحب «الفتاوى».

وهؤلاء الفقهاء والمشاهير اتصلوا بالإجازة والسماع من الحفاظ المتقدم ذكرهم، وتعداد شيوخهم وطرقهم واتصالاتهم لا تسعه هذه السطور، وهو في الفهارس معلوم ومشهور، عند كل من له عناية بعلم الإسناد، العلم المنشور.

* * *

---

(١) لعله الشيخ أحمد بن العجيل العجيلي، توفي سنة ١٠٧٤هـ.

(٢) أما الرملي فإدراكه ممكن لبعضهم، لتأخر وفاته، حيث توفي سنة ١٠٠٤هـ، وأما القشاشي والزمزمي والعجيلي، فبينهم وبين الشيخ ابن حجر وابن زياد والشربيني، وبقية من ذكروا، واسطة لابد منها. يراجع: عقد اليواقيت الجوهرية: ١/ ٥٨٢-٥٨٣.

(٣) وقع في بعض الطبعات المقري، وهو تصحيف.

وَرَقائِقٌ وَحَقائِقٌ بِمَسالِكٍ عَرَبِيَّةٍ وَمَدارِكُ العِقالِ (١)

بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ وَتَعَلُّقٍ وَتَخَلُّقٍ لِتَحَقُّقٍ وَنِزالِ (٢)

(١، ٢) هذا عطف على الفقه وما بعده، أي إنني بحمد الله كما اتصلت بالعلوم الظاهرة بما تقدم كذلك أخذت الرقائق، وحصلت لي الحقائق، وغيرها من علوم القوم، وأهلني الله لذلك، وجعل في قلبي قابلية لحفظ العلوم النقلية، والإدراكات العقلية، في جميع المسالك العربية، والفنون الأدبية، فصار أخذي بتفهم للمعنى وتعلم من الصدور، وتعلق بالحقيقة، وتخلق بأخلاق أهل الطريقة؛ ليكون التحقيق بالاتصال، والمنازلة بكل نوال في كل طريقة.

فقد حفظت في أول عمري القرآن العظيم، وقرأت من أوله إلى سورة الأعراف[1] بالقراءات العشر جمعاً وإفراداً، على الشيخ عبد الرحمن أبي الغيث المدني والشيخ إبراهيم بن محمد المصري، وأجازاني بباقيه وجميع ما يجوز لهما، وكتبا لي ذلك بخطوطهم، ومما كتبا: «والحقُّ أن الإجازة في الأداء لمن تأهلَ وقرأ جملةً صالحة من القرآن؛ لكون الباقي كالمكرر معها كافيةٌ، والله أعلم». وقد أخذا عن الشيخ أحمد البناء صاحب «إتحاف البَشَر بالقراءات الأربعة عشر».

وحفظت كتاب «الإرشاد» لابن المقري في الفقه، و«المُلحة»، و«ألفية ابن مالك»، وأكثر «ألفية السيوطي» في المعاني والبيان، و«ألفية البرماوي» في أصول الفقه، و«ألفية الحديث» للعراقي، و«الشاطبية» في القراءات، و«الرائية» في الرسم، ومنظومات أُخر في المنطق والعروض وغير ذلك، ثم قرأتها وحققتها على المشايخ المتقدم ذكرهم.

ولم أزل منذ أجلسني والدي في مجلس التدريس سنة تسع ومئة وألف إلى

(١) كذا في النسختين، وفي ط. بينها في عقد اليواقيت ٢/ ٨٥٧: آل عمران.

الآن وأنا حريص على نفع المسلمين، وتفقيه المتفقهين، وتفهيم المبتدئين، وتذكير المستمعين، وتدريس علوم الدين في كل حين، وتأسيس القواعد، وتأليف الفوائد، في النظم والنثر واتباع سيد المرسلين، والاقتداء بورثته الكاملين، والحمد لله رب العالمين، على ما أعطى من فضله المبين، فله المنّة وبه على الشكر نستعين.

* * *

والأَخْـذُ في التَّلْقِيـن والإلْباسِ في ... عَهْدٍ بِوَصْلِ سَلاسِلِ السِّلْسالِ (١)

بِطَرائِقٍ مَشْـهُورةٍ نَافَتْ على العشْـ ... ـرِيـن قَدْ عُرِفَـتْ بِخيْرِ نَـوالِ (٢)

وَالإِذْنُ في الإرْشادِ والتَّحْكيم والتَّـ ... ـدْريـسِ والفَتْوى لِكُلِّ سُـؤالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي إنني أخذت في الطريق من أهلها أهل التسليك والتحقيق بالتلقين منهم لي بأذكار عديدة، في آثار وأنوار شهيرة، ولبست منهم الخرقة الفخرية مراراً كثيرة، في صحبة أكيدة، وقابلية مستفيدة، وأخذوا عليَّ العهد الخاص والعام في الأمور القديمة والجديدة، فاتصلت لنا منهم سلاسل بأكمل اتصال، ونوال إلى وصالهم بكل نوال، وشربتُ من مناهل معرفتهم العذب البارد السلسال، واتصلت بواسطتهم لي بطريق الصوفية الصفية على الإكمال، من طرق تزيد على عشرين طريقاً منسوبة إلى المشايخ الكبار، والمشهورين في الأقطار.

كالعلوية المنسوبة إلى سيدنا الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي.

والعمودية المنسوبة إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي.

والعبَّادية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله باعباد.

والقادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني.

والرفاعية المنسوبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي.

والشاذلية المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

والسهروردية المنسوبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي.

والكازرونية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم بن شهريار الكازروني.

والبدوية المنسوبة إلى الشيخ السيد أحمد البدوي.

والمدْيَنيَّة المنسوبة إلى الشيخ أبي مدين.

والأويسية المنسوبة إلى سيدنا أويس القرني الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والخضرية المنسوبة إلى الخضر المحكوم بنوبته وولايته وبقائه إلى الآن عند كثيرين.

والقشيرية المنسوبة إلى الشيخ عبد الكريم بن هوازن صاحب «الرسالة».

والفردوسية الكبروية المنسوبة إلى الشيخ نجم الدين الكبري.

والشطارية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله الشطاري.

والحبشتية المنسوبة إلى الشيخ أبي إسحاق الحبشتي.

والطيفورية المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامي.

والهمدانية المنسوبة إلى الشيخ علي الهمداني.

والنقشبندية المنسوبة إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند البخاري.

والجلوَتية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الجلوتي.

والعادلية المنسوبة إلى الشيخ بدر الدين العادلي.

والغوثية المنسوبة إلى الشيخ محمد الغوث.

والدسوقية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي.

فهذه نيِّف وعشرون طريقة اتصلت بحبالها، وتعقلت بسلاسلها وهي وإن تفرقت رسومها وتنوعت علومها، ترجع إلى أصل واحد، وتدور على تقريب الطريق إلى الأحد الواحد، فبعضها راجع إلى بعض في السنة والفرض، ولا خلاف بين القوم إلا في الهيئات والرسوم.

وليست الطريقة إلى الله منحصرة في تلك الطرائق، بل طرق على عدد أنفاس الخلائق، فكم فتح الله على عبد في ذكر، وكم قربه في تذكير وفكر، وكم جذبه إليه في جذبة وهبية فأغنته عن المسالك في كل أمر، فحق العبد أن لا يزال معرضاً عن غير الله، متعرضاً في كل حين لنفحات الله، ومن صح اجتهاده، وتحقق على الحق اعتماده، فقد نجح مراده ووضح رشاده ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فليوزع أوقاته ويضبط أنفاسه، ويعمر العمر بالطاعات والعلوم فيكون التفقه همه وعلوم القرآن والسنة ديدنه ورسمه، والتصوف سره في سريرته وكتمه، ومن حضره الموت عرف قيمة عمره، لو طلب أن يؤخر يوماً لتدارك أمره، لبذل ألوفاً من يسره وعسره.

***

هـذا اجْتِهـادِي ثُمَّ مَـنَّ الله بالْـ ... فَتحِ العَظِيم وَفَوْقَ ما في بالي (١)

أَعْطَـى عَطَايـا لا تُحَـدُّ ونِعمـةً ... لَيْسَتْ تُعدُّ بِكُلِّ حالٍ حالي (٢)

(١، ٢) أي أن جميع ما ذكرته من تطلبي العلم، وتكسبي بالفهم، وتوصلي بالعلماء الأعلام، وتوسلي بالأولياء الكرام، في العلم والعمل، والتقرب إلى الله عز

وجل، هذا اجتهادي ونصبي وتعبي، فلم أزل كلما فرغت أنصب، وإلى الله أرغب، في نيل كل مطلب.

فلما علم الله صدق جهادي وصحة اعتمادي عليه، واستنادي إليه، مَنَّ الله عليّ بالفتح العظيم لكل مطلوب، وأعطاني فوق ما يخطر ببالي من كل موهوب، وخصني بعطايا لا تحد، ونعم لا تحصى ولا تعد، بكل حال حالي، ومنال عالٍ، فحكيته بالإجمال وسكتُّ عن التفصيل؛ لأني لو فصلت لكُذِّبت، ورُمِيتُ بكل تجهيل، ولست مبالياً بما أصابني في الله، ولا ناظراً في الخلق في حق الله، ولكن صح: «لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله».

فتركت التفصيل رحمة مني بهم عن التضليل، وهذه سنة الله فيمن سبق وليس لسنة الله من تبديل، قال الغزالي في «فيصل التفرقة»: واستصغر من لا يُحسد ولا يُقذف، واستحقر من لا بالكفر والضلال يُعرف... إلى آخر ما ذكره، وإلى الله ترجع الأمور، وهو العليم بذات الصدور.

* * *

إنْ قُلْتُها مُتَحَدِّثاً عَنْ أَمْرِه   في شُكْرِه مِنْ ذِكرِه بِمقالي (١)

فالأمْرُ مِنْه لَه إلَيْهِ وَلَيْسَ لي   في كُلِّ ما قَدْ قُلْتُ مِنْ مِثْقَالِ (٢)

(١، ٢) أي إن ذكر نعم الله على عبده والتحدث بها، من شكره وذكره، واعتراف بأنها منه وإليه، وذلك إما فرض أو سنة مع شهود الأمر كله لله، ومن الله، وأن له الفضل والمنة، فقد أمره الله بذلك، فهي عبودية للمنعم المالك، وليس للعبد شيء من ذلك من مثقال ذرة، وإنما هي هبات فضليَّة، وصفات عليّة، الأمر فيها إلى الله من الله لا ملك فيها للعبد حقيقة في جليلة ولا دقيقة، وإنما أعطاه الله نسبة الظهور،

وتجلي ذلك الوصف عليه في جميع الأمور، وإليه يرجع الأمر كله، وإنما هو فضله أو عدله وفصله.

***

فالعجْـزُ فـي ذاتـي وَجَهْلـي لازِمٌ ... والفَقْرُ سـارِي في جَميعِ خِصالي (١)

وَبِهِ وجُودي في الذَّواتِ وَقَدْ كَسا ... ني في الصِّفـاتِ بِقُوَّةٍ وَمَحالِ (٢)

وَبِـذاكَ حَمَّلنـي الْأَمانـاتِ الَّتِـي ... عنها السَّماء والأرضِ ذاتِ كَلال (٣)

وَأَنا الظَّلـومُ إذا ادَّعَيْتُ الحَمْلَ لي ... وَأَنا الجَهولُ إذا جَهِلْتُ لحالي (٤)

فَبِـه حَمَلْـتُ أي احْتَمَلـتُ لِحُلَّـةٍ ... مِنْ جُودهِ سترتْ جميعَ خِلالي (٥)

(١، ٢) أي إن ذاتي في التحقيق لم تخرج من العدم إلا بالإمكان، فأشرق عليها أنواره، فلذلك، العجز وصفٌ لها ذاتي والجهل لها حكم لازم، والفقر فيها سارٍ في جميع الخصال، وإنما الحق أمدها بالوجود وقيدها بالصفات والجود، في جميع الحدود والقيود، وحباها بقوة ومحال، فصح بها إليها نسبة الصفات والأعمال، وصحة الثواب والعقاب في كل حال، والاختصاص والملك في الخصوصيات والأموال، وبذلك صحت للإنسان الخلافة كما كساه الله أوصافه وصح في الحديث: «**تخلقوا بأخلاق الله**»، في كل نسبة وإضافة، فاتضح أن الله خلق الإنسان على صورته في الأسماء والصفات، وألبسه نعوتاً وحباه ألطافه، وأبرزه في أحسن تقويم، على هيكل قويم لا تحصى أوضاع تكريمه ولا أصنافه، فأهله لكل فضل، وقابله بكل وصل، فنال ما لم ينل غيره من كل ذي شرف وإنافة.

(٣، ٤) أي لما خلق الله الإنسان على صورته، وجعله له خليفة في أحواله وسيرته، وأعطاه نسبة إليه في كل وصف وزينة، وأبدعه في أحسن تقويم وأعظم دينه، فحمّله أمانة الخلافة والتكليف، والمعرفة والتعريف، التي لم تطق حملها

السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، فإن حملها العبد بربه ووكلها إلى قدرته وتحقق هو في حمله بالعجز والكلال، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله في كل فعل وانفعال، في كل حال، وكل قبول وإقبال، فهو خليفة قائم بحق الصورة، عارف ومعترف أن لا له في حمل الأمانة إلا نسبة المحل والصورة، وإن حملها بنفسه، وتكلفها بقوته وحوله وعقله وحسه، فهو الظلوم؛ لأنه ادعى ما هو لله وبالله لنفسه، وهو لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء هو وجميع أبناء جنسه، وهو الجهول بحاله إذا لم يعرف عجزه في جميع خلاله، ولم يدرك كنه حقيقته في ذاته وصفاته وأفعاله، فتراه ينسب الأشياء التي هي ملك لله إليه، ويحول الخلق الذي خلقه الله عليه، ويعزم على ما ليس يدري هل يصل إليه، فما يدري ماذا يكسب بعد الآن، وماذا يحدث عليه من حوادث الزمان، فمن حقه أن يحمل ما حمَّله الله بالله، ويصلي لله بالله، ويرى أن الصلاة هدية من الله، ويرى أن جميع أفعاله واختياره حلة ألبسها الله إياه، سترت جميع نقصه وعجزه في الصورة في الوجود، ولا يصح هذا المعنى بالتحقيق إلا لأهل الغناء الذين صح لهم الفناء بالله، وترك كل عناء.

* * *

أيـغـرُّنــي لُـبْسي لأحْـلى حُلَّةٍ	وَأَنا العَليمُ بِعُنْصُري وَمَآلي (١)
مـا كان ذاتِيـاً فَلَيْسَ يَـزول بالـ	عَرْضِ وَلَوْ يُكْسى بِكُلِّ كَمالِ (٢)

(١، ٢) أي كيف يغتر من عرف نفسه بحقيقة العدم وحق الاضطرار والافتقار في كل شيء بكل حال، وأمن لظهوره في عارية عليه من النعم، وكسوة عارضة من فيض الجود والكرم، ومعاني العز والقدم، فإن ما هو ذاتي لا يزول بالعرض بحال، فالنقص الذاتي لا يزول وإن كُسي بكل كمال، فمن لبس حلة خلية، لا يرتفع ما في بدنه من النقائص الجبليَّة، والرقيق إذا رفع في المراتب العلية، لا يزول عن الرق وغيره

من العيوب الجبليَّة، فالعارضي بالحري أن يزول، ويتحول الحال ويعود الأمر إلى الذاتي الذي لا يحول.

* * *

وَلِذاكَ يُمْقَتُ مُعْجبٌ بِجَميلِهِ   لِغُروره عَنْ نَفْسِهِ بِخَيالِ (١)

لا يُوجَبُ النَّعما عَلَيْه عُلوُّها   بَلْ حِفْظُها بالشُّكْرِ والإذْلالِ (٢)

والخَوْفُ مِنْ مَوْلاه إنْ أعْطي فَلَم   يُشْكَرْ فَيُبْلِيها بِكُلِّ زَوالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي لكون النظر إلى النعم والغفلة بها عن المنعم ونسبتها إلى النفس مجرد اغترار بخيال ولبس، صار العجب بها من الكبائر، والمعجب بها ممقوت عن أهل البصائر؛ لأنه اغتر بالعارض من النعم، والعارية من الفضل والكرم، فنسبه إلى نفسه، فافتخر به على أبناء جنسه، وذلك خيال لا يحققه بعقله ولا حسه، فإنما الفضل لله والحول والقوة به في كل حال، والإنعام منه وإليه في كل فعل وانفعال، لا يوجب زوال النقص الذاتي ولا يثبت للذات العبدية كمال، فالعزة والعلو لله وللعبد الانخفاض والإذلال.

فإن النعم توجب الشكر، والشكر عبودية، والعبودية ذلة، وهو لازم في كل مجال، وإلا عادت النعم إلى الزوال، فإن النعم اقتضت الشكر، والعبودية للمنعم بكل حال، والخوف من المولى عند التقصير في الأعمال فيبتليه بالطرد والزوال، فالشكر بالعبودية والخوف من التبديل والزوال يورث كمال الانخفاض والاعتراف تحت تجليات الجمال والجلال.

* * *

بَلْ خَوْفُهُ فِي نِعْمَةٍ دِينِيَّةٍ   أَوْلى لِفَضْلِ مآلِها وَالحالِ (١)

بَل لا يَرى أَمْثالَه أَهْلاً لَها   لِقُصُورِهِ عَنها بِكُلِّ مُحالِ (٢)

بَلْ لَيس يُمْكِنُ شُكرَ نِعْمَةِ رَبِّهِ إلّا بنِعْمتِه وَشُكرِ تـالِ (٣)

فالشّكرُ مِنْه لَـه يَكُون بِفَضْلِهِ وَالشّكرُ مِنكَ بِغَيْرِه كَمَحالِ (٤)

فَاسْأَله شُكراً مِنْه عَنْكَ لنَفْسه وَبِهِ اسْتَعِنْ فِي سَائرِ الأحْوالِ (٥)

(١، ٢) أي إن جميع النعم الوهبية والكسبية، تقتضي الشكر والعبودية، والخفض تحت الخوف والعزة الإلهية، فإنه هو الذي أقدر العبد عليها، وخلق له أسباباً ونسباً توصله بقدرة الله إليها، وليس ذلك في النعمة الدنيوية فقط بل النعمة الدينية أولى بذلك؛ لأنها أفضل في الحال والمآل وبها الاقتراب من الله في النسبة العلية والإفضال، فمن وفقه الله للعلم والأعمال الصالحة، فقد خصه بأفضل النعم الراجحة، فيتواضع لله فيه، ويعترف بفضل الله عليه، بل إذا عرف نفسه وما جبلت عليه، رأى أنه وامتثاله ليسوا أهلاً للقيام بالعبودية والشكر ولا للتخصيص بالجود والكرم، مع لزوم النقائص الذاتية والفقر الحقيقي والعدم.

(٣، ٤، ٥) أي إذا عرف العبد نقصه الحقيقي عرف أنه ليس أهلاً للنعم، لولا الفضل والكرم، وذلك أن النعم تقتضي الشكر وهو لا يقدر على الشكر إلا بإقدار الله عليه، وسوق نعمة أخرى هي الشكر منه إليه، وإذا كان ليس قادراً على الشكر، فكيف يكون أهلاً للنعم التي توجب الشكر، فإن إقدار الله له على الشكر بطاعاته وذكره وامتثال نهيه وأمره، نعمة جديدة مِنَ الله عليه تقتضي شكراً منه ثانياً وهلمَّ جرا، كل شكر نعمة، وكل نعمة يجب عليها شكر آخر، بنعمة أخرى، فيعلم بذلك أن الشكر لله وإنما يكون بالله ونسبته إلى العبد مجاز بفضل الله.

وأما الشكر من العبد بغيره فإنه كالمحال؛ إذ لا حول ولا قوة له على حال، وإنما قال كالمحال لئلا يدخل في حيز الجبر ونِسَبِه، ونزع نسبة الأعمال عن العبد.

فارجع أيها العبد إلى الله بالتضرع والابتهال، اللَذيْنِ هما أيضاً من نعم الله عليك، واسأل الله أن يحليك شكراً منه لنفسه وبه استعن في سائر الأحوال، فشكره منه من ذاته لذاته، في جميع أفعاله وصفاته، وهو اللائق بكمال شكره في جميع هباته، فقد مَنَّ بالنعم من غير سابقة من العبد، وتفضل بالشكر ثانياً، فهو الشكور المطلق والشكر كله منه وإليه بغير قيد ولا حد.

* * *

وَبالافْتِقــارِ بِكُــلِّ مــا حاوَلْتَـهُ ... وَالاضْطِرارِ بِأَفْضَلِ اسْتِعْمالِ (١)

وَإِذا فَرَغْـتَ مِـنَ القِيـامِ بِخصْلَـةٍ ... فـانْـهَـضْ لثـانيـةٍ بِلا إِمْهـالِ (٢)

وَارْجِـعْ إِلَيْـه بِمـا فَعَلْـتَ مُوَحِّـداً ... في الـذّاتِ وَالأَوْصـافِ وَالأَفعالِ (٣)

(١، ٢، ٣) أي إنّ الله لما أعطاك نعم الإيجاد والإمداد، وكساك أثواب الصفات بمحض الفضل والكرم، فقد جعل لك نسبةَ ذلك إليه منه، وخلافةً لك في ذلك عنه، فاحذر أنْ ترى لك استقلالاً أو غنى بحال، فامتثل ما أمركَ به من عبادته وأقبل عليه بغاية الافتقار ونهاية الاضطرار في كل ما حاولته مِنَ الأعمال، وأفضل الفعل والانفعال والعمل والاستعمال.

واعلم أنّ كل لحظة ولمحة تأتي عليك فيها نعم كثيرة، تشهدها إنْ كانت لك بصيرة منيرة، فأعطها حقّها بصرفها فيما هو لازم عليك من الأمر في العبودية والشكر، وبادرْ كل ما فرغتَ مِن القيام بخصلة فانصب لثانية بلا مُهلة، فإنّك إنما خُلقتَ للعبودية وارغب إلى الله في التفضّل عليك بدوام ذكره، وامتثال أمره، والتحقّق بشكره، واعرف نفسك وأنّك على صورة مِن الأمر، وإنّ الله إليه يرجع الأمر كله، فوحِّده في الذات والصفات والأفعال، ولا تنسُبْ لنفسك عملاً أو حالاً بحال، إلا كما أثبته بالفعل والانفعال، واعرف واعترف أنّ الشكر والعبودية والأعمال، هدية مِنَ الله وَمِنَّـةٌ منه عليك.

فقد تظن إذا قلتَ: «أصلّي لله»: أنك تهدي الصلاة إليه، بل قل: أصلي بالله، بل صلّى الله لي، أي خلق فيَّ الصلاة وحلّاني بها ونسبها إليّ فضلاً وجوداً، وكذلك يكون الحال فيما أولاك مولاك مِن الأعمال.

* * *

وَاحْمَدْهُ للتَّوْفِيـقِ مِنْه بفعلـه ... وَارْغَـبْ إِلَيْـهِ لِبَسـطِ كُلِّ نـوالِ

وَاهْرُبْ إِلَيْه مِنَ الوَرَى وَشُهودِهِم ... وَاشْـهَدْهُ فيهـم فـي أَجَـلِّ تَعالـي

وَاخْشَ الوقُوفَ أَوِ الرُّكونَ إلى الـ ... سِّـوَى مِنْ طاعَـةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ أعمالِ

أي إنّ الله أظهرك مِنَ العدم، وأمدّك مِنَ النعم، بنعمة الإيجاد والإمداد بالجود والكرم، ووفّقك لذكره وشكره وجعلك مِنْ جملة الخدم، فاحمده للتوفيق بفعله لفعله، وذلك منه وإليه، وفيه وعليه، وارغب إليه في إجابة كل سؤال وبسط كل نوال؛ إذ لا مُعطِي في حال بحال، فالحذر الحذر مِنْ رؤية الخلق وشهودهم، في مشاهدتهم ووجودهم، فإنّه سبحانه هو الظاهر فيهم والباطن فيما نُسِبَ لهم، فاشهده في جميع أحوالهم في وُجُوْدِهِمْ وَجُوْدِهِمْ، في أعزّ تعالٍ عن سِمات المحدثات، وتقييد الصفات، وتحديد الذوات، فإنهم في غاية الفقر والاضطرار في جميع المعاني والتعيّنات، فاخشَ مِنَ الوقوف عند خلقِ الله، أو الركون إلى سوى الله، مِنْ كُلِّ مخلوق ولو كان طاعة لله، وعلماً بأحكام الله ومعرفة به وأعمالاً له، فإنّها كلّها خلْقٌ وكذلك الجنة والنار، والملائكة الأبرار، والأنبياء الأطهار، فكلّهم خلْقٌ مسخّرون ومملوكون ومدبّرون به، فارجع إليه في جميع ذلك، واشهده فيهم في جميع الممالك والمسالك، فهو الحق المالك، واتّكِلْ عليه في جميع أمورك.

* * *

تُعْطِي الحَقِيقَةَ حَقَّها وَتَكُون بِالْـ ... فَقْرِ الحقيقِيِّ في الغِنى المُتعالِي (١)
وَتَصِـيرُ أنْـتَ بِـهِ بِـكُلِّ تَعَـيُّنٍ ... وَيَعودُ منه عَلَيْكَ كُلُّ مَنالِ (٢)
وَتَبِـيْنُ منه عَلَيْكَ أَجْمَـلُ صُورَةٍ ... عُـلوِيَّـةٍ فيهـا أَجَلُّ جَمالِ (٣)

(١، ٢) أي إذا صدقتَ مع الله، وفنيتَ بالفقر الحقيقي إلى الله في الله، ولم يبقَ لك كون مع الله، ولا ركون إلا غير الله، أعطيتَ الحقيقة أي حقيقة الأمر حقها، وطابقتَ الواقع في جمعها، ووجهتَ وانخلعتَ مِنَ الرّسوم الوهْمِيّةِ، والعلوم الرسمية، وتحققتَ بالحقائق العلمية، فتكون بذلك الفقر إلى الله والفناء فيه في غاية الكمال، والغنى به في كل حال، وتصير أنتَ بالله في كل معنى وتعيُّن في جميع الأعيان والصفات والأعمال، ويعود منه عليك كل نسبة ونوال، في جميع الهبات والطاعات والأعمال.

(٣) أي إذا رجعتَ بالبقاء له بعد الفناء عن نفسك وشؤونك، والغِنى به بعد الفقر التام في جميع معانيك وعيونك، ظهرتْ عليك معاني أنواره في كل صورة بأجمل جمال، وسَرَتْ فيك مثاني أسراره في جميع الحال، بأكمل كمال في أحوال عليَّة، ومواهب عُلويَّة، لا يحددها مقال، ولا تُقيد بحال.

* * *

وَوَصِيَّتي لَك يا أخِي كُنْ عَبْدَهُ ... أَبـداً بِـما أَوْلاكَ مِـنْ مِنْوالِ (١)
وَامْحِ الرُّسومَ وَكُلَّ دَعْوَى غَيْرِهِ ... وَاحْذَرْ تكون بِما عَلَيَّ وَما لي (٢)
وَخفِ الغرورَ مِنَ القُصورِ بِغَفْلَةٍ ... في نَظْـرَةٍ أو خَطْـرَةٍ أو بَالِ (٣)

(١، ٢، ٣) قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، إلى آخر السورة [العصر: ١-٣] فإنه سبحانه أوصى عباده، وأمرهم بالتواصي بالحق والصبر، فلذلك أوصيك يا أخي في الدين وجميع المسلمين بأنْ تكون مسلِماً مُسلّماً لله مؤمناً آمنا بالله، وكن لله عبداً

خالصاً، حنيفاً لله قانتاً، غير مشوب بنظر إلى غير الله، وأثبت بالعبودية والصدق معه والإخلاص له فيما أقامك فيه من حال، ووضعك فيه من نوال ومنوال، ولا تنقل نفسك عنه فتُسِيء الأدبَ مع العليم الخبير بما أعطاك، فهو أعلم وأنه أولى بك مِنْ كل الخصال، فإذا أرادك لغير ذلك فمنه النقل ومنه الانتقال، فكن به وامح جميع الرسوم المنسوبة إليك، والعلوم الواصلة إليك.

واترك كل دعوى لك أو عليك، واحذر من نسبة الأشياء إليك، بما عليّ من الحقوق، أو ما لي مِنَ الأموال والرفوق، فإنها نِسَبٌ وهْمية، تتلاشى عند ظهور حضرته العلية، بالحقائق العلمية، وخف من غرورك بشيء من الصفات أو نظر إلى معنى من المعاني في جميع التعينات، في حضرة ذي الجلال، الذي أجلاك في وجوده، وألبسك ملابس جوده، وأبرزك في حلّةِ الكمال.

***

والعِلْمُ أَشْـرَفُ ما طَلَبْتَ ولكِن الـ	عِـلْـمَ اللَّدُنِّي المَنْهـلِ الإِنْزالِ (١)
يَهْدي إلى عَيْنِ الهُدَى وَيُرَى بِهِ الـ	حُكْم الجليّ بِكُلِّ مَعْنى عالي (٢)
وَبِـه الحَقِيقَـةُ فـي الرَّقيقَـةِ تَنْجلي	ويُذاقُ طَعْمُ الرُّشْدِفي الأعْمالِ(٣)
والله بُـدُّكَ لَيْـسَ بُـدِّك غَيْـره	وإليْـهِ مِنْـكَ يـؤولُ كُلُّ مـآلِ (٤)
فاطْلُـبْ بِعَجْـزِك مِنْـه أكْمَـل قُوَّةٍ	وبفَقرِكَ ارْغَبْ في الوَلا المُتَوالي (٥)

(١، ٢، ٣) أي إنّ العلم أصل كل خير فمَنْ سهّل الله له طريقاً إلى العلم فقد سهّل له طريقاً إلى الجنة وإلى كل خير، فهو الوسيلة إلى العمل، والدليل عن كل قصد وأمل، ولكن العلوم العقلية مشوبة بالخيال، ومأخوذة من الحواس، والحواس تابعة للصورة وللمقال، قلّ ما تصفو مِنَ الشّوائب الكونية، والأخلاط الشّؤونية، إلا أنها وسيلة إلى العمل، والعمل وسيلة إلى التقوى، والتقوى منزل العلم اللدني الإنزالي،

من المنبع الأقدس، المطهر من كل دنس، بالوابل السلسالي، فإنّه طاهر طهور، نور على نور، يهدي بالحق إلى حقائق الأمور، ومعنى الهدى في كل بطون وظهور، يُرى به الحكم الجلي، في كل معنى علي، وتنجلي به الحقائق، خالصة من شوب الرقائق، ويذاق طعم الرشد والإيمان، في الأعمال بالمعرفة والعُرْفِ والإيقان، واتقوا الله ويعلمكم الله في كل شأن، إنْ تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً بكل بيان.

(٤، ٥) أي إنّ الله بُدّك اللازم لك الضروري الملازم، فهو الذي أظهرك في الوجود، وأمدّك بالموجود في كل صدور وورود، فإليه تؤول في كل حال، وإليه ترجع في كل غاية ومآل، فعنْهُ الأصل وبفضله وفصله، وإليه مرجع الأمر كلّه فلا تتوهّم أنّ لك قوّة وأعمالاً، وقدرة وأفعالاً، حقيقة في كل حال، بل لك الفقر الذات والعجز الحقيقي في جميع الخصال.

فإذا عرفتَ نفسك واعترفت بعجزك وفقرك، ورجعتَ إليه في ذلك، مخلصاً مِنْ كلِّ دعوة مُتبرّئاً مِنَ الحَوْلِ والقوة، أيّدك بأكمل قوّة منه ووالاك بالغِنى عن غيره بكل فضل منه، وصِرْتَ له ولياً، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨].

* * *

وَبِنورِهِ اغْسِلْ كُلَّ جَهْلِكَ(١) ثُمَّ قِفْ	في الظِّلِ تَحْتَ الفَيْضِ والإِفْضالِ (١)
قُلْ رَبِّ يا مَوْلاي عَبْدُكَ واقفٌ	بِالبابِ يَرجُو غايَةَ الآمالِ (٢)
خُذْها مُذَكِّرَةً وَكُنْتُ نَظَمْتُها	لِأَخٍ عَلى حُبِّ الحَبيبِ مُوالِ (٣)
طَلَبَ الوَصِيةَ والإِجازَةَ فاقْتَضى الْـ	ـحالُ الجَوابَ بِهَذِهِ الأقوالِ (٤)

(٢،١) أي إذا أظهرَكَ اللهُ بظهوره، وفتح لك أبواب نوره، فاغسل جميع صفاتك الناقصة بكمال طهوره، وطهِّر جميع جهلِك وظلمات حسّك وعقلك بصفاء نوره، وقف في منزل العبودية والفقر، تحتَ نوازل القهر والأمر، في ظل الرحمة واللطف، وبرد الرأفة والعطف، مُنتظراً للقبول والإقبال، والفيض بالفضل والإفضال، وقل يا رب يا رب يا رب ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤] فأنَا عبدُك على كل حال، واقفٌ تحت باب السؤال للنوال، أرجو منك غاية الآمال، وبالقربِ منك في جميع الخصال، والتحقّق بالحق في معنى الحقيقة في جميع الأحوال.

(٣، ٤) أي خُذْ هذه القصيدة الفريدة تذكِّرُكَ مطالع الأنوار ومنافع الأسرار، في متابعة الأخيار، ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠]. فهي مُذكِّرَةٌ عامة، ودعوة تامة، وإن كنتُ نظمتها باسم أخ خاص، فهي في معنى مخصوص، وذلك أنّ بعض الإخوان في الله، المُوالين على محبّةِ الله، الحبيب المحبوب في جميع الأمور، صافي الحق بالحق بعد أنْ طلبَ منّي ذلك الآخر الوصية المخصوصة، التي أمر الله بها في الآيات المنصوصة، وكذلك طلب الإجازة منّي فيما استفاده من العلوم، وعرفه من طريق القوم، وتحقق به في حقِّ الحي القيوم، وهو السيد العلامة الجامع بين المعقول والمنقول، العارف بالله تعالى السيد يحيى بن عمر مقبول الأهدل الحسيني رحمه الله، وبلّغه في حضرته كل سول، فاقتضى الحال بحسب القابلية منه الجواب بهذه الأقوال التي ذكرتها في القصيدة؛ إذ الجواب يختلف على السؤال الواحد بحسب مقتضى الحال، الذي عليه مدار البلاغة في جميع الأقوال.

* * *

فَأَجَزْتُـهُ فيهـا وفيمـا قُلْتُـه ... مِنْ نظْمٍ أو نَثْرٍ وَحلِّ سُؤالِ (١)

وكَـذاكَ كُلُّ أخٍ وَطالِبِ حِكْمةٍ ... ومرافِقٍ لِلْحقِّ بالإقبـالِ (٢)

أي قَبِلتُ سؤال ذلك الأخ وقابلته بمراده مِنَ الوصلة التامة، في الإجازة العامة، فيما يجوز لي روايته، وله مما أتقنَ في درايته، وتأهّل لروايته، مِن جميع العلوم، وبهذه القصيدة وما لي من منثور أو منظوم، وجواب سؤال، وإيضاح إشكال، مما صحّ نسبته إليّ بوجه معلوم، عند أهل العلوم، من جميع العلوم، وكذلك عمّمتُ لكلِّ أخٍ في الله وطالب مطلوب بأمر الله.

* * *

والحَمْدُ لله الحَميدِ بِحَمْدِهِ	في حَمْدِهِ المَحْمودِ في الآزالِ (١)
ثمَّ الصَّلاة على النَّبي مُحمّدٍ	وَعَلى الصَّحابةِ كُلِّهِم والآلِ (٢)
والتَّابِعينَ مَعَ السَّلامِ وَخَتْمِها	سُبْحانَ رَبِّ العِزَّةِ المُتَعالي (٣)

(١، ٢، ٣) أي الحمد لله حقّ الحمد، لازم لذات الله الجامع لجميع الكمالات، المستحق لجميع الطاعات والعبادات، فلا حَمْدَ حقيقة لغيره؛ لأنّ وجوده إنما هو بغيره، فالله سبحانه وتعالى هو المحمود وهو الحامد، وله الحمد بحمده الذي يُوافي نعمه ويكافئ مزيده، في جميع المشاهد وهو حمد نفسه لنفسه المحمود به في الأزل الذي لم يزل، الذي شرحه فيما نزل، لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

ثم المسؤول من الله دوام الصلاة بالرحمة والتشريف، للسيد الشريف الذي أقامه الله واسطة في كل معروف وتعريف، في عالم المسالك من التأليف في كل تكليف، ودعوة إلى سبيل الخبير اللطيف، وعلى أصحابه نجوم الهدى، ورواة الحق والتحقيق عنه في كل اهتداء، فهم كلّهم عدول، ومَنْ قَدَحَ فيهم فقد قَدَحَ في دينه المنقول، وعلى آله وعترته المقرّبين في الهدى بالقرآن في القبول، وعلى التابعين لهم بإحسان في مناهج الإسلام والإيمان والعرفان مع السلام بمعنى التسليم في كل حال يَحُولُ، وقوّة وحَوْل.

وختم هذه القصيدة بما ابتُدِئ به من التسبيح، فإنه كختم المجالس في القياس الصحيح، وأشار إليه البخاري في ختم «الجامع الصحيح»، والعَوْدُ بما بدأ شأن أهل الهدى، وآخرُ دعواهم كأولها: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

انتهى

❋ ❋ ❋

إلحاقٌ

تقدمت الإشارة الى أن السيد الإمام المؤلف رحمه الله، تبادل الأشعار مع السيد العلامة يحيى بن عمر مقبول الأهدل الزبيدي، وقد أورد بعض تلك الأشعار العلامة السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، في كتابه «النفس اليماني». وكان من تمام التوفيق أن يسر الله الوقوف على نسخة خطية من تلك الأشعار، وفيها تسمية السيد المؤلف لقصيدته التي قالها في السيد الأهدل، ومعها الجواب أيضاً.

* * *

جاء في النسخة المنقول عنها، والمقابل ما في «النفس اليماني» عليها:

«قال سيدنا المؤلف المذكور، وهو الناظم والشارح، نفعنا الله به:

وهذه قصيدة أخرى مسماة بـ:

«التشويق لأهل الطريق إلى الحق والتحقيق»

أحببت أن ألحقها مجردة عن الشرح؛ لأنها في معنى الشرح لآخر القصيدة المتقدمة، في تفصيل بعض المعاني المقدمة، والشرح هذا في معنى الشرح لها في الدرر المنتظمة، والجواهر المكرمة، وهي هذه.

وكنت أرسلتها إلى السيد العلامة، الموالي في مولاه على ما أولاه، من فضله وولاه، وهو المشار إليه بالأخ فيما تقدم في طلب الوصية والإجازة. وهو السيد يحيى ابن عمر الأهدل مقبول الزبيدي، رحمه الله، فأجاب عن القصيدة بجواب دال على

القبول، وتحقيق المقبول، فأوردت جوابه أيضاً، لتتم الفائدة والعائدة، في كل معنى في كل مقولٍ؛ لأنه أهل للشهادة فيما يقول، أحد العارفين العدول، وصارت هذه الثلاث القصائد متعلقةً بعضها ببعض، وإليها فيها النسبة تؤول.

فالقصيدة هي هذه:

يـا مغرميـن بوصـلِ ذاتِ الخـالِ ... نجـمُ اللّقـا فـي طالـعِ الإقبـالِ

هبَّـتْ نسـيماتُ القبـولِ فهل إلى ... ذاك القبيـلِ مسـاعدٌ فـي الحـالِ

باللـه يــا أهـلَ الغَـرامِ ودينِـهِ ... حـيَّ هـلاً للوصْـلِ والإيصـالِ

فلقـدْ دعا داعي الحبيبِ ومَنْ دُعي ... فأجــابَ فـازَ بمنتهـى الآمـالِ

مـاذا التّوانـي والزمـانُ مسـاعدٌ؟ ... والحـالُ حـالٍ والعطـا متـوالِ

كيف التباطؤ والسـبيلُ قد استوى ... بدلائــل الإنبــاءِ والإرســالِ

تلكَ البـروقُ بروقُ أنـوارِ الحمى ... وشـروقُ أنـوارِ الجنَاب العالـي

فلقدبدتْشمسُ الشُّموسِ وأُجْليَتْ ... تلـكَ العـروسُ بغايـةِ الإجـلالِ

فاسـتعبدَت كلَّ النفـوسِ وغيبَتْ ... كلَّ الحسُـوسِ وبلبَلَـتْ بالبـالِ

واستظهرتْ كلَّ القلوبِ وطهَّرتْ ... كـل العيُـوبِ بـواردِ سَلسـالِ

مُحِيَـتْ بها كلُّ الذُّنـوبِ وفتّحتْ ... منهـا الغيـوبُ وبـانَ كلُّ جمـالِ

شـهدتْ بها كل البها بلْ شاهدتْ ... لنهايـةِ التفصيـلِ فـي الإجمـالِ

بحقـائـقٍ ودقـائـقٍ برقَائـقٍ ... قـد راقَ فيهـا سلسـبيلُ الحـالِ

ولطائـفٌ وعـوارفٌ بمعَـارفٍ ... تجلـو صـدَى الإبهامِ والإشـكالِ

وطـوالِـعٌ أبـديّـةٌ بمطَالـعِ ... أحديّـةٍ وجَـلاء جـلَّ مجـالِ

بشـريعـةٍ وطريـقَـةٍ وحقيـقـةٍ ... ترياقُهـا شـافٍ لـكل عضَـالِ

أبــداً تــراهــا ليــلُهــا كنهارِهــا ... ولهــا معـــانٍ فــوقَ كل مقــالِ
الله أكبــر جــلّ منجــزُ وعــدِه ... لعبيــده عــن خلــفٍ اَوْ إمهــالِ
علــى علــيٍّ عطائــهِ ومزيــدِه ... عــن شَــوبهِ بالنَّقــصِ والإقــلالِ
مــا كانَ أثبتَــهُ بصــادقِ قولِــهِ ... فـلـهُ البقــا أبــداً بغيــرِ زوالِ
سبحانَ مَنْ يدعو العبادَ إلى النّدى ... ويعمّــهــم بالفضــلِ والإفضــالِ
حاشــاه أن يدعــو لوابــلِ جــودِهِ ... ويــخيــب الراجــي لأي نــوالِ
حاشــا الكريــمَ بفضلــه ونوالِــه ... قــد قــام فــي الأشــيا بــكل كمــالِ
ظهــرتْ مظاهــرُه ببــذلٍ شــاملٍ ... وبعدلِــه تعديــلُ كــلِّ مجــالِ
كل الوجــوه لــه عنَــتْ وتوجهَــتْ ... كل الشــؤون بسَــائرِ الأحــوالِ
وبحمــدِه تسبيحها وســجودها ... بــذواتهــا أبــداً وكل ظــلالِ
كــل نــمــدّ بــهــذه وبــهــذه ... وبــه إليــه مــآل كــل مــآلِ
مــا خــابَ إلا جاحــدٌ أعمَــى توهّـ ... ـم غيـــره شيــئاً بــوهْــم خيــالِ
والله ألبسَـــهُ صفـــاتٍ ظنهـــا ... مــن نعتِــه الذاتــي بــكل خيــالِ
أمســى يقول فعلــتُ ذا وتركتُ ذا ... وغـــدَا بــمــلــكٍ واثقــاً وبمــالِ
عجبــاً لــه ولعجبــه بملابــس ... عاريّــةٌ جلبــتْ بخيــرِ مثــالِ
أعمَى حجًى من لا يشــاهدُ نفسَــهُ ... عدَمــاً وفقْــراً فــي جميــعِ خصــالِ
أيتيــه مــن نعــم عــواري عالــمٌ ... أن لا لــه فــي الأمــرِ مــن مثقــالِ
فهــو الجهــولُ بنفسِــه فــي حملــهِ ... لأمانــةٍ ثقلــتْ علــى الأجبــالِ
وهــو الظلــومُ إذا ادَّعــى أثــراً لــه ... فــيمــا يــراه الحــقّ مــن أفْعــالِ
إنْ شــئتَ كلَّ ســعادةٍ فــي قربــه ... وســيــادةٍ وبلُــوغِ كلِّ منَــالِ

فاشهدْه فيكَ وفي سِواكَ وكُن به	عبداً له في سائرِ الأحوالِ
واخلعْ لباسَ النفسِ عنك وقمْ به	وله استقمْ في أقوَمِ استقبالِ
وتخلَّ عن حَولٍ ودعوَى قوّةٍ	وله استجِبْ في صالحِ الأعمالِ
ومتى تجدْ سوءاً فلُمْ نفساً جنَتْ	شراً عليكَ فعُوقِبَتْ بنكالِ
فارجعْ إلى الله الكريمِ فإنه الـ	ملجا فحسبُ لسائرِ الأهوالِ
ولذنبك استغفرْهُ فاستغفارُهُ	منْجَى لكل بليةٍ ووبالِ
وبذكره استهتِرْ دوامَك طالباً	حسْن القبولِ بأحسَنِ الإقبالِ
وانزلْ بظلِّ نوالِه واهتفْ وقُلْ	يا ربِّ يا ربِّ استجبْ لسؤالِ
ثمَّ الصلاةُ على النبيِّ وآله	والصّحبِ والتّسليمِ بالإكمالِ
ما قام داعٍ بالهدى وأنشدَتْ	يا مغْرمينَ بوصْلِ ذاتِ الخالِ

***

[جواب السيد يحيى بن عمر الأهدل]

وهذا جوابٌ عليها من سيدي الجد يحيى بن عمر الأهدل، رحمهم الله:

هبَّ النسيمُ من الجنابِ العالي	يروي الشَّميمَ من الخزامَى الغالي
وتسلسَلَ الإنباءُ من أهلِ النقَا	بلطافَةٍ كالسلسبيلِ الحالي
فارتاحَتِ الأكوانُ منه بلطفِه	وتنوحَتْ من عزْفِه[1] الميالِ
وترنَّحَتْ أرواحُنا بخطابِه	وتروّحَتْ برضابه السَّلسالِ
وتفكهت أسرارُنا بجماله	وتنبَّهتْ بزلالِهِ السيّالِ
لِمَ لا ومن سُوحِ الحبيبِ هبوبُه	بنوافحِ النفحَات والإفضالِ

---

(١) في «الفنس»: وتناوحت من عزفه.

أوليس مطلعُ شمسِه أفقُ العلا ... ووروده من معدنِ الإجلالِ
بحقائقٍ مكنونةٍ ودقائقٍ ... مصنونةٍ ورقائقٍ وعوالِ
ومعارفٍ غيبيةٍ وعوارفٍ ... وَهْبيةٍ ولطائفٍ ومعَالِ
وسرائرٍ نبويّةٍ وذخائرٍ ... علويةٍ وجَواهرٍ ولآلي
وطوالعٍ سريّةٍ ولوامعٍ ... دريةٍ وسَواطعٍ ومجالِ
ونفائسٍ أحديّةٍ وعرائسٍ ... مهديةٍ من مانحِ الآمالِ
أكرِمْ بشيخٍ حازَ كلَّ فضيلةٍ ... وجميلةٍ ورقى المقام العالي
سرٌّ من الأسرارِ مبتهجٌ حوَى ... أزكى الخلالِ وأكملِ الأحوالِ
حلّتْ محاسنُه الوجودَ جميعَهُ ... يا سعدَ معتقدٍ له ومُوالِ
بحْر الحقائق والمعارف عابد الـ ... رّحمنِ والموصوف بالإجلالِ
حبرُ الحقيقةِ والطريقةِ جامعُ الـ ... عِلمَينِ والشرفين باستكمالِ
كم خاضَ في بحرِ الكتابِ فجاء بالـ ... عجَب العُجابِ وحل كلّ سؤالِ
حازَ الفصُوصَ إلى النصُوصِ بفهمه ... فجَلا الفصوصَ ونالَ كلَّ منالِ
والله يُهنيهِ الفتوحَاتِ التي ... فتحَتْ له ويزيدُ بالإكمالِ
ويعيدُ من بركاتِه ويمدّ من ... نفحاتِه بالعائد المتوالي
يا أيها النفاحُ من ذاكَ الحمى ... عُدْ مسرعاً جنَّبتَ كل كَلالِ
واقرِ السّلام وقبِّلِ الأقدام في ... ذاكَ المقامِ على الإمامِ ووالِ
واعكُف بحضرته الشريفة مُنشِداً ... في ذلك المغنَى بصوتٍ عالِ
بتأدُّبٍ وتهذُّبٍ وتخشُّعٍ ... وتذلُّلٍ وتمكُّنٍ في الحالِ
يا ابنَ عبد الله يا شمسَ الهدى ... يا عيدروسُ ويا عظيمَ الحالِ

يا ابنُ الفقيه ويا عظيمَ القدر يَا ... أقصى المرامِ وغايةَ الآمالِ

جُذْ بالدعاءِ لشيِّقٍ متعلِّقٍ ... في كلِّ آنٍ لم يفُزْ بوصَالِ

عبدٌ لكم لا تقطعوه نَوالكم ... لازلتم أهلاً لكلِّ نوالِ

فعسَى يعدُّ محبكُم من حزبِكم ... ويمَدَّ بالإخلاصِ في الأعمالِ

ثمَّ الصَّلاةُ مع السلام مؤبداً ... للهاشميِّ وصحبه والآلِ

ما خَطّ في طرسٍ بنانُ محقّقٍ ... سطراً يحلّ مسائلَ الإشكالِ

وشدَا محبٌ بالترنُّمِ مُنشِداً ... هبَّ النَّسيمُ من الجنابِ العالي

تمت المنظومة التي في سلك الفضل محكومة

لمن تقدم ذكره، وعلا فخره

نفعنا الله بهم آمين

❋ ❋ ❋